خمسون سبباً
من أجلها جاء المسيح ليموت

Fifty Reasons
Why Jesus Came To Die?

John Piper

جان پـايـپَر

ترجمة : سعيد باز

خمسون سبباً
من أجلها جاء المسيح ليموت

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

نشرت سابقاً باسم آلام يسوع المسيح

حقوق الطبع والنشر © ٢٠٠٦ من قبل مؤسسة دزايرِجاد

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م- ١٤٢٥ هـ

Fifty Reasons Why Jesus Came to Die?
Copyright © 2006 by Desiring God Foundation
Published by Crossway Books
A division of Good News Publishers
1300 Crescent Street
Wheaton, Illinois 60187
U.S.A

: تم ترخيص هذه الطبعة بواسطة Desiring God وإنتاجها وتوزيعها
من قبل The Gospel Coalition

هناك العديد من المصادر العربية المجانية
من قبل القس جون بايبر
يمكن الاطلاع عليها على الانترنت ar.desiringgod.org

التوزيع

دارُ الجيل
للنشر والطباعة والتوزيع

إلى يسوع المسيح

مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاس،
رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ...
وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً.
وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا،
مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا،
تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا.

كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا.
مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ،
وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.

ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ،
وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.
كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ،
وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا،
فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ...

قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ...
ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي...
عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً،
وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ.
أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ
بِالْحَزَنِ.

النبيُّ إشعياء

الأصحاح ٥٣، الآيات ٣- ١٠

الفهرس

الفهرس ٥

المقدمة : المسيح والمضطهَدون المُعذَّبون ٩

خمسون غاية لموت ومعاناة سيدنا عيسى المسيح

١- لِيَتَشرَّب غضب الله ١٧

٢- ليُسِرَّ أباه السماويَّ..... ٢٠

٣- ليتعلَّم الطاعة ويُكمَّل..... ٢٢

٤- ليُتِمَّ قيامته من بين الأموات..... ٢٤

٥- ليُبيِّن غِنى محبَّة الله ونعمته للخُطاة ٢٦

٦- ليُبيِّن محبَّته الخاصَّة لنا..... ٢٩

٧- ليُلغيَ مطالب الناموس الشَّرعيَّة ضدَّنا..... ٣٢

٨- ليصير فديةً عن كثيرين..... ٣٤

٩- لأجل غفران خطايانا..... ٣٧

١٠- ليُعِدَّ الأساس لتبريرنا ٤٠
١١- ليُكمِل الطاعة التي تصير برَّنا ٤٣
١٢- ليرفعَ عنَّا حُكم الدينونة..... ٤٦
١٣- ليُبطِل الختان وجميع الطُّقوس باعتبارها أساسَ الخلاص ٤٩
١٤- ليأتيَ بنا إلى الإيمان ويُبقيَنا أُمَناء..... ٥٢
١٥- ليجعلنا قدِّيسين وبلا لوم وكاملين ٥٤
١٦- يُعطيَنا ضميراً نقيّاً ٥٧
١٧- ليُحصِّل لنا كلَّ ما هو لخيرنا..... ٦٠
١٨- ليَشفيَنا من المرض الأدبيِّ والجسديِّ ٦٢
١٩- ليُعطيَ كلَّ مَن يؤمن به الحياةَ الأبديَّة ٦٥
٢٠- ليُنقِذنا من العالَم الحاضر الشِّرِّير..... ٦٧
٢١- ليُصالِحَنا مع الله..... ٦٩
٢٢- ليُقرِّبنا إلى الله ٧٢
٢٣- لنكون خاصَّتَه..... ٧٥
٢٤- ليُعطينا ثقة الدُّخول إلى الأقداس ٧٨
٢٥- ليصيرَ هو لنا المكانَ الذي فيه نقابل الله..... ٨١
٢٦- ليُنهيَ كهنوت العهد القديم ويصيرَ هو رئيسَ الكهنة الأبديَّ..... ٨٤

٢٧- ليصيرَ كاهناً رحيماً ومُعيناً ٨٧

٢٨- ليُحرِّرنا من عُقمِ سُلالتنا ٩٠

٢٩- ليحررنا من عبودية الخطية ٩٣

٣٠- لنموت بالنسبة إلى الخطية ونحيا لأجل البر ٩٦

٣١- لنموت بالنسبة إلى الناموس ونصير مثمرين لأجل الله ٩٩

٣٢- ليمكننا من أن نعيش للمسيح لا لأنفسنا ١٠٢

٣٣- ليجعل صليبه أساس افتخارنا كلَّه ١٠٥

٣٤- ليمكننا من أن نحيا في الإيمان به ١٠٨

٣٥- ليُضفي على الزواج معناه الأعمق ١١١

٣٦- ليخلق شعباً محتمساً للأعمال الصالحة ١١٤

٣٧- ليدعونا إلى الاقتداء به في الاتِّضاع والمحبَّة الغالية المضحِّية ١١٧

٣٨- ليُوجِدَ جماعةً من الأتباع المصلوبين ١٢٠

٣٩- ليحررنا من عبودية الخوف من الموت ١٢٣

٤٠- لنكون معه حالاً بعد الموت ١٢٦

٤١- ليضمن قيامتنا من بين الأموات ١٢٩

٤٢- ليجرِّد الرِّئاسات والسُّلطات الشِّريرة من سلاحها ١٣٢

٤٣- ليُطلقِ العنان لقوة الله في الإنجيل ١٣٥

٤٤- ليُبطِل العداوة بين الأجناس ١٣٨
٤٥- ليفتديَ جماعةً من كلِّ قبيلة ولُغَة وشعب وأُمَّة ١٤١
٤٦- ليجمَع جميعَ خِرافه من أنحاء العالم كلِّه ١٤٤
٤٧- ليُنجِّينا من الدينونة الأخيرة ١٤٧
٤٨- ليَكسِبُ فرحَه وفرحَنا ١٥٠
٤٩- ليكلَّلَ بالمجدِ والكرامة ١٥٣
٥٠- ليُبيِّنَ أنَّ الشرَّ الأسوأ قد قصد الله به خيراً ١٥٦
صــلاة ١٥٩

مُقدَّمة

المسيح والمضطهَدون المُعذَّبون

أهم سؤال في القرن الحادي والعشرين هو: لماذا جاء المسيح ليَموت؟ ولإدراك هذه الأهميَّة، يجب أن ننظر إلى ما وراء الأسباب البشريَّة. فالجواب الأقصى عن السؤال «مَن قَتَلَ المسيح؟» هو: الله قتلَه. وهذه فكرة مُربِكة مُذهِلة. إذ إنَّ المسيح هو ابن الله! إلاَّ أنَّ رسالة الكتاب المقدَّس بكاملها تؤدِّي إلى هذا الاستنتاج.

الله قصد به الخير

قال النبيُّ القديم إشعياء، قبل قرون من مجيء المسيح: «أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ» (إشعياء ٥٣: ١٠). ويقول كتاب العهد الجديد عن الله إنَّه «لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ» (رومية ٨: ٣٢). وأيضاً إنَّ الله قدَّم المسيح ليُسفكَ دمُه حتَّى نقبلَ عمله التَّعويضيَّ بالإيمان (راجع رومية ٣: ٢٥).

ولكنْ كيف يترابط هذا الفعلُ الإلهيُّ مع الأفعال الأثيمة المروِّعة التي ارتكبها أُولئك الذين قتلوا المسيح؟ إنَّ الجواب الذي يُقدِّمه الكتاب المقدَّس مُعبَّرٌ عنه في صلاة قديمة: «بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ... هِيرُودُسُ وَبِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَ أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ، لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ» (أعمال ٤: ٢٧ و٢٨). فمدى هذه الهَيمنة الإلهيَّة يجعل أنفاسنا تَنقطع. ولكنَّ ذلك أيضاً مِفتاحُ خلاصنا. إذ إنَّ الله وضع المشروع ثمَّ نفَّذه بأيدي أُناس أثَمَة. وباستعارة عبارة وردَت في التَّوراة: هُم قصدوا بذلك شرّاً، ولكنَّ الله قصد به الخير (تكوين ٥٠: ٢٠).

وبما أنَّ الله قصد الخير بموت المسيح، ينبغي أن نتخطَّى بأنظارنا الأسبابَ البشريَّة إلى القصد الإلهيّ. فالمسألة الجوهريَّة في موت المسيح ليست السبب، بل هي القصد، أو المعنى. ربما كان عند الكائنات البشريَّة أسبابُها لإزاحة المسيح من الطريق. ولكنَّ الله وحده يقدر أن يُصمِّم ذلك لأجل خير العالَم. وفي الواقع أنَّ مقاصد الله من جهة العالم في موت المسيح لا يُسبر غَورُها. وسأُحاول أن أصف خمسين منها، إنَّما سيكون هناك دائماً مَزيدٌ يُقال. فهدفي هو أن أدع الكتاب المقدَّس يتكلَّم، إذ هُنا نسمع كلمة الله. وأرجو أن تحفِّزك هذه المؤشِّرات على مُباشرة مسعًى لكي تعرف أكثرَ فأكثر بشأن خُطَّة الله العظيمة في موت ابنه الحبيب.

موت المسيح كان فريداً فرادةً مُطلَقة

لماذا كان موت المسيح كلِّيَّ الفعَّاليَّة؟ لقد حُوكِمَ وحُكِمَ عليه كمُطالِب بعرش روما دونَ حقّ. ولكنْ في غضون القرون الثلاثة التالية أطلق موتُه عِنانَ قوَّة تجعل الإنسان يحتمل الآلام ويُحِبُّ، غيَّرت الإمبراطوريَّة الرومانيَّة وما تزال حتَّى اليوم تُشكِّل العالم. الجواب هو أنَّ موت المسيح كان فريداً فرادةً مُطلَقة. ثُمَّ إنَّ قيامته حيّاً من بين الأموات في اليوم الثالث كانت فِعلاً أجراه الله لكي يُثبِتَ ما أنجزه موتُه.

لقد كان موته فريداً لأنَّه هو كان أكثر من مُجرَّدِ بشريٍّ لا أقلَّ. فإنَّه، كما يقول قانون الإيمان النيقياويَّ القديم، «إلهٌ حقٌّ من إله حقٍّ». وهذه هي شهادة الذين عرفوه وأوحى إليهم بأن يُفسِّروا هُويَّته. فالرسول يوحنَّا أشار إلى المسيح بصفته «**الكلمة**» وكتب: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يوحنَّا ١: ١ و٢، ١٤).

ثُمَّ إنَّه كان بريئاً إلى التمام في تألُّمه. ليس فقط بريئاً من تهمة التَّجديف أو الكُفر، بل من كلِّ خطيَّة أيضاً. وقد قال واحد من أقرب تلاميذه: «لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» (١بطرس ٢: ٢٢). أضِف إلى هذا أنَّه تقبَّل موته بسُلطانٍ مُطلق. وكان أحد التَّصريحات المذهلة التي صرَّح بها المسيح يتعلَّق بموته وقيامته: «لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضاً. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضاً» (يوحنا ١٠: ١٧ و١٨). فالجِدال بشأنِ أيِّ بَشَرٍ قتلوا المسيح هامِشيٌّ. لقد اختار هو أن يموت. وأبوه السَّماويُّ قضى بذلك مُسبَّقاً. وهو تقبَّله.

مقصد موته أثبتَتهُ قيامتُه

لقد أقام الله المسيح حيَّاً من بين الأموات ليُبيِّن أنَّه كان على حقٍّ وليؤيِّد جميع تصريحاته. وقد حدثت القيامة في اليوم الثالث بعد موته. ففي يوم الأحد باكراً نهض حيَّاً من بين الأموات. وظهر عدَّة مرَّات لأتْباعه، على مدى أربعين يوماً، قبلَ صعوده إلى السماء (أعمال ١: ٣).

كان تلاميذ المسيح مُبطئين في تصديق حدوث القيامة فعلاً. فهم لم يكونوا سُذَّجاً يُخدَعون بسهولة، بل كانوا حِرَفيِّين عمليِّين، وقد علموا أنَّ الناس لا يقومون أحياءً من بين الأموات. وذاتَ مرَّة أصرَّ المسيح على أكل السَّمك ليُبرهِن لهم أنَّه ليس شبحاً (لوقا

٢٤: ٣٩- ٤٣). فلم يكُن هذا إنعاش جسدٍ هامد. إنَّه كان قيامة الله ـ الإنسان إلى حياةٍ جديدة لا تُفنَى. وقد نادت به الجماعةُ المسيحيَّة أوَّل عهدها ربَّ السماء والأرض. فإنَّه أكمل العمل الذي كلَّفه الله أن يعمله، وقد كانت قيامته البُرهان على أنَّ الله اكتفى وارتضى. وهذا الكتاب هو عمَّا أنجزه موت المسيح للعالم.

موت المسيح وعذابُ المضطهَدين

من المفارقات المأساويَّة أنَّ واقعة موت المسيح أنتجت حيناً عِداءً وعُنفاً من قِبَل المنتَسبين إليه نحو بعض الأقوام الأُخرى. فيقيناً أنَّ أُولئك المضطهِدين باسم المسيح لم يتصرَّفوا بوحيٍ من روح المسيح. غير أنَّ المسيحيَّة الصحيحة - وهي مُختلِفة جذريّاً عن الحضارة الغربيَّة - تدين اللجوء إلى العُنف سبيلاً إلى نشر الدِّين. فقد قال المسيح: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ...» (يوحنا ١٨: ٣٦). إنَّ طريق الصليب هي طريق التألُّم. فالمؤمنون بالمسيح مدعوُّون لأنْ يموتوا، لا لأن يُميتوا، لكي يُبيِّنوا للعالم كيف أحبَّهم المسيح.

إنَّ المحبَّة المسيحية الأصيلة تُقدِّم المسيح، باتِّضاعٍ وجُرأة، ومهما كلَّف الأمر، إلى جميع الشعوب باعتباره الطريقَ الخلاصيَّ الوحيد المؤدِّي إلى الله. فقد قال المسيح: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يوحنا ١٤: ٦). ولكنْ ليكُن واضحاً وضوحَ الشمس أنَّه ليس من المسيحيَّة في شيءٍ اللجوءُ إلى الإذلال أو الاحتقار أو الاضطهاد بالقمع المتغطرِس أو العُنف الدمويِّ من أيِّ نوعٍ كان. فإنَّ كلَّ سلوكٍ من هذا القبيل، بكلِّ بساطة وعلى نحوٍ بغيض، هو عصيان للمسيح. ولا ننسَأنَّه، على خِلاف كثيرين من المسَمَّين أتباعاً له، صلَّى من على الصليب: «يَاأَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا ٢٣: ٣٤).

حقّاً إنَّ موت المسيح هو أهمُّ حَدَث في التاريخ. ولكنَّ بعضاً يُنكِرون صلب المسيح لأنَّه أشدُّ ترويعاً من أن يؤكَّد. ويرى بعضٌ أنَّه مؤامرة مُحكَمَة للحصول على العطف الدينيِّ قسراً. غير أنَّ المنكِرين يعيشون في عالَم أحلامٍ تاريخيّ. إذ إنَّ المسيح فعلاً عانى آلاماً لا توصف ومات موتاً رهيباً.

وممَّا يدعو إلى العَجَب أنَّ بعض أتْباع المسيحيَّة، كما نرى في التاريخ، سوَّغوا تعذيب الآخرين واضطهادهم بذريعة الدِّفاع عن المسيحيَّة. فأُولئك الذين فعلوا ذلك تصرَّفوا خلافاً لتعليم المسيح، حيثُ قال: «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ... أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» (متَّى ٥: ١١، ١١). كما أنَّ ذلك التصرُّف يُناقِض تقبُّل المسيحيِّين الأوَّلين للآلام والاضطهاد والعذاب من أجل اسم المسيح، إذ «حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ» (أعمال ٥: ٤١). فالمؤمنون بالمسيح حقّاً يكونون هم الذين يُضطهدون، لا الذين يَضطهِدون. والتاريخ حافِل بأخبار الشُّهداء الذين لاقَوا الموت بشجاعة وسُرور فتوَّجوا حياةَ شهادتِهم للمسيح بموتهم من أجل الإيمان به.

إنِّي أعلَم يقيناً أنَّ المدعوِّين «مسيحيِّين»، أُولئك الذين أذاقوا غيرهم الاضطهاد والعذاب، لم يعرفوا قَطُّ المحبَّة التي دفعَت المسيح نحو الجُلجُثة، حيثُ صُلِبَ ومات. إنَّهم لم يعرفوا قَطُّ المسيح الذي بدلاً من أن يَقتل لإنقاذ حضارةٍ ما، مات لأجل خلاص العالَم. ولكنَّ المؤمنين بالمسيح حقّاً قد أدركوا معنى موت المسيح، فحملَتهم آلامُه على الاتِّضاع والرأفة والتَّضحية للإتيان بالآخرين إلى الإيمان به.

لقد شارك في صلب المسيح أُناسٌ ينتمون إلى أكثرَ من جماعة قوميَّة في فلسطين، اليهود والرُّومان على السَّواء، وحاول أُناسٌ من كلِّ جماعة أن يحولوا دون صَلبِه. إنَّما

كان الله هو الفاعلَ الرئيسيَّ في موت ابنه الحبيب. وعليه، فالسؤال الأساسيُّ ليس» أيُّ بَشَرٍ سبَّبوا موتَ المسيح؟» بل «ماذا سبَّب موتُ المسيح للبَشَر، إلى أيَّة فئة عِرقيَّة أو قوميَّة أو دينيَّة أو لادينيَّة انتمَوا، أي لجميع الناس في كلِّ مكان؟»

ومهما قيل أو عُمِل، فإنَّ السؤال الأكثر حسماً هو: لماذا؟ لماذا جاء المسيح ليموت؟ ليس لماذا بمعنى **السبب**، بل لماذا بمعنى **القصد**. ماذا أنجز المسيح بموته؟ لماذا كان عليه أن يتألَّم إلى أقصى حدّ؟ أيُّ أمرٍ عظيم كان جارياً في الجُلجُثة لأجل العالَم؟

ذلك هو موضوع هذا الكتاب. فقد جمعتُ من كتاب العهد الجديد خمسين سبباً من أجلها جاء المسيح ليموت. لا خمسين علَّة، بل خمسين غاية. فأهمُّ إلى ما لانهاية ممَّن قتل المسيح هو السؤال: ماذا أنجز الله لخُطاةٍ مثلنا بإرساله ابنَه كي يموت؟

خمسون سبباً
من أجلها جاءِ المسيح ليموت

١

لِيَتَشَرَّب غضب اللّه

اَلْمَسيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ
لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:
«مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ».

غلاطية ٣: ١٣

الَّذي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بالإِيمَانِ بِدَمِه،
لإِظْهَارِ بِرِّه، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ
عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ.

رومية ٣: ٢٥

في هذَا هيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ،
بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا.

١ يوحنا ٤: ١٠

لو لم يكن الله **عادلاً**، لَمَا كان من داعٍ لأن يتألَّم ابنُه ويموت. ولو لم يكُن الله مُحِبّاً، لَمَا كان لدى ابنه **استعدادٌ** لأنْ يتألَّم ويموت. ولكنَّ الله عادلٌ ومُحِبٌّ معاً. ولذلك، فإنَّ محبَّته على استعدادٍ لأنْ تفيَ بمطالب عدالته.

لقد طالبَت شريعةُ الله بهذا: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ» (تثنية ٦: ٥). ولكنَّنا كلَّنا أحببنا أشياءَ أُخرى أكثر. وهذه هي ماهيَّة الخطيَّة: إهانةُ الله بتفضيل أشياء أُخرى عليه، والتصرُّف بموجب تلك المفضَّلات. لذلك يقول الكتاب المقدَّس: «الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ،» أي قصَّروا عن تمجيده (رومية ٣: ٢٣). فنحن نُمجِّد ما نستمتع به أكثرَ الكُلِّ. وليس ذلك هو الله.

ومن ثَمَّ فإنَّ الخطيَّة ليست بسيطة، لأنَّها ليست ضدَّ سيِّد صغير. وجسامةُ إهانةٍ مَّا تعظُم بقدْر كرامة المهان. فخالق الكون مُستحقٌّ بلا حدٍّ ولا قياس للاحترام والإكبار والإخلاص. وعليه، فإنَّ الإخفاق في محبَّته ليس أمراً بسيطاً، بل هو خيانة عُظمى. إنَّه يفتري على الله ويُدمِّر سعادة الإنسان.

وبما انَّ الله عادل، فهو لا يمسح هذه الجرائم بخِرقة الكون. إنَّه يشعر بغضب مُقدَّس ضدَّها. فهي تستحقُّ أن تُعاقَب، وهو قد أوضح هذا جليّاً: «لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ» (رومية ٦: ٢٣). «اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ» (حزقيال ١٨: ٤).

هناك لعنة مقدَّسة تتدلَّى فوق كلِّ خطيَّة. فعدَم المعاقَبة يكون خرقاً للعدل، إذ يُشكِّل تصديقاً للحطِّ من قدْر الله، وتسود كذبةٌ في لبِّ الحقيقة. لذلك يقول الله: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ» (غلاطية ٣: ١٠؛ تثنية ٢٧: ٢٦).

ولكنَّ محبة الله لا تستريح بوجود اللَّعنة المعلَّقة فوق البشر الخاطئين أجمعين. إنَّه لا يُسَرُّ بإبداء الغضب، مهما كان مُقدَّساً. ولذلك أرسل الله ابنه الحبيب ليتشرَّب

غضبَه ويتحمَّل اللَّعنة عن جميع الذين يثقون به. «اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا» (غلاطية ٣: ١٣).

هذا هو معنى الكلمة «كفَّارة» في الآية المقتبَسة أعلاه (رومية ٣: ٢٥). فهي تدلُّ على رفع غضب الله بتوفيرِ بديل. والبديل هيّأه الله نفسه. فالبديل، أي المسيح، لا يُلغي الغضب فحسْب، بل يتشرَّبُه ويُحوِّله عنَّا إلى ذاته. ذلك أنَّ غضب الله عادل، وقد سُكِب، لا حُجِب ولا سُحِب.

لا نستهِن بالله، ولا نستخفَّ بمحبَّته! فلن نقفَ أبداً مُتهيِّبين في رِحاب كوننا محبوبين عنده إلاَّ إذا أخذنا في الحسبان جسامةَ خطيَّتنا وعدالةَ غضبه علينا. ولكنْ عندما نتنبَّه، بنعمة الله، إلى عدم استحقاقنا، عندئذ يمكننا أن ننظر إلى آلام المسيح وموته ونقول: «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ **كَفَّارَةً** لِخَطَايَانَا [مُتشرِّبةً عنا الغضب]» (١يوحنا ٤: ١٠).

٢

ليُسِرَّ أباه السماويَّ

أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ
بِالْحَزَنِ.
إشعياء ٥٣: ١٠

أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا،
قُرْبَاناً وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً.
أفسس ٥: ٢

لم يُصارع المسيح أباه الغاضب على حلبة السماء وينتزع الكرباج من يده. ولم يُرغمه على أن يكون رحيماً نحو البشر. ولم يكُن موته إذعاناً على مَضَض لله كي يرأف بالخُطاة. لا، بل إنَّ ما فعله المسيح لمَّا تألَّم ومات كان فكرة الآب. وقد كانت تلك خُطَّةً رائعة، تمَّ تصوُّرها حتَّى قبل الخَلق، إذ رأى الله وخطَّط تاريخ العالم. لذلك يتكلَّم الكتاب المقدَّس عن «القصد والنِّعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع» في الأزل قبل بدء الأزمنة (٢تيموثاوس ١: ٩).

وكانت الخُطَّة الإلهيَّة قد بدأت تتكشَّف حقّاً في كتاب العهد القديم. فإنَّ النبيَّ إشعياء تنبَّأ بآلام المسيح المنتظر الذي سوف يأخذ مكان الخطاة. وقد قال إشعياء إنَّ المسيح سيكون «مضروباً من الله» بدلاً منَّا.

«لكنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا... كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا»

(إشعياء ٥٣: ٤- ٦).

ولكنَّ الأشدَّ إذهالاً في بَدَليَّة المسيح هذه عن الخطاة أنَّها كانت فكرة الله. فالمسيح لم يتطفَّل على خُطَّة الله لمعاقبة الخطاة، بل الله خطَّط له أن يكون فيها. كما قال النبيُّ المذكور، في العهد القديم: «أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ» (إشعياء ٥٣: ١٠).

وهذا يُفسِّر المفارقة التي يتضمَّنها كتابُ العهد الجديد. فمن جهة، كان تألُّم المسيح انسكاباً للغضب الإلهيِّ بسبب الخطيَّة. ولكنْ من جهةٍ أُخرى، كان تألُّم المسيح فعلَ خضوع وطاعة جميلاً لمشيئة الآب. وهكذا صرخ المسيح من على الصليب: «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» (متَّى ٢٧: ٤٦). ومع ذلك يقول الكتاب المقدَّس إنَّ تألُّم المسيح كان عبيراً عَطِراً لله. «أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَاناً وَذَبِيحَةً لِلهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً» (أفسُس ٥: ٢).

فلنتعبَّدْ لله من أجل محبَّته الرائعة العجيبة جدّاً! فهي ليست مجرَّد عاطفة عابرة، ولا هي أمراً بسيطاً. إذ إنَّ الله لأجلنا عمل المستحيل: سكب غضبَه على ابنه الحبيب، هذا الذي جعلَه خضوعُه غير مُستحقٍّ أبداً أن يتلقَّى ذلك الغضب. ومع ذلك، فإنَّ استعداد المسيح التامَّ لأنْ يتلقَّاه كان ثميناً جدّاً في نظر الله. إنَّ مُتلقِّيَ الغضب كان محبوباً محبَّةً بلا حدودٍ البتَّة.

٣

ليتعلَّم الطاعة ويُكمَّل

مَعَ كَوْنه ابْناً تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ به.
عبرانيين ٥: ٨

لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذي منْ أَجْله الْكُلُّ وَبه الْكُلُّ،
وَهُوَ آت بأَبْنَاء كَثيرينَ إِلَى الْمَجْد،
أَنْ يُكَمِّلَ رَئيسَ خَلاَصهمْ بالآلاَم.
عبرانيين ٢: ١٠

إنَّ سِفرَ الكتاب المقدَّس ذاك الذي يقول إنَّ المسيح «تعلَّم الطاعة» عبْرَ التألُّم، وإنَّه «كُمِّل» عبْرَ التألُّم، هو نفسُه يقول إنَّه كان «بلا خطيَّة» أيضاً. فالمسيح «مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَنَا، **بِلاَ خَطِيَّةٍ**» (عبرانيين ٤: ١٥).

هذا هو التعليم المتماسك دائماً في الكتاب المقدَّس: أنَّ المسيح كان بلا خطيَّة. فمع أنَّه كان ابنَ الله الأزليَّ، فقد كان إنساناً كاملاً أيضاً، مُعرَّضاً لكلِّ ما لنا من تجارب ورغبات وضعف بشريّ. إذ اختبر الجوع (متَّى ٢١: ١٨) والغضب والحُزن (مرقس ٣: ٥) والألَم (متَّى ١٧: ١٢). ولكنَّ قلبه كان في محبَّة كاملة مع الله، وقد تصرَّف دائماً بدافع تلك المحبَّة: «لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» (١بطرس ٢: ٢٢).

ولذلك، فعندما يقول الكتاب المقدَّس إنَّ المسيح «تعلَّم الطاعة ممَّا تألَّم به»، لا يعني أنَّه تعلَّم الكفَّ عن عدم الطاعة. إنَّه يعني أنَّ المسيح، مع كلِّ اختبارٍ جديد، تعلَّم عمليّاً – وبالألم – ما معنى الطاعة. وعندما يقول إنَّه «كُمِّل... بِالآلاَم.»، لا يعني أنَّه كان يتخلَّص من العيوب شيئاً فشيئاً. إنَّه يعني أنَّ المسيح كان يُتمِّم شيئاً فشيئاً برَّ الله الكامل الذي وجَبَ أن يحوزه لكي يُخلِّصنا.

ذلك هو ما قاله عند معموديَّته. فهو لم يكُن مُضطرّاً لأنْ يتعمَّد لأنَّه كان خاطئاً. ولكنَّه بالأحرى فسَّر الأمر ليوحنَّا المعمدان: «هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ» (متَّى ٣: ١٥).

فهذا هو بيت القصيد: *لو أنَّ ابن الله مضى من التَّجسُّد إلى الصليب دون حياة مُعاناة وألَم لإثبات برِّه ومحبَّته، لما كان مُخلِّصاً مُلائماً للإنسان الساقط.* إنَّ تألُّم المسيح لم يمتصَّ غضب الله فحسْب، بل حقَّق أيضاً إنسانيَّته الحقيقيَّة ومكَّنه من أن يدعوَنا إخوةً وأخوات (عبرانيِّين ٢: ١٧).

٤

ليُتِمَّ قيامته من بين الأموات

وَإِلهُ السَّلاَمِ الَّذي أَقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ
رَاعِيَ الْخِرَافِ الْعَظِيمَ، رَبَّنَا
يَسُوعَ، بِدَمِ الْعَهْدِ الأَبَدِيِّ،
لِيُكَمِّلْكُمْ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ.
عبرانيِّين ١٣: ٢٠ و٢١

إنَّ موت المسيح لم يسبق قيامتَه فحسْب، بل كان أيضاً هو الثمن الذي به نالها. لذلك تقول الآية في عبرانيِّين ١٣: ٢٠ إنَّ الله أقامه حيّاً من بين الأموات «بِدَمِ الْعَهْدِ الأَبَدِيِّ».

وليس «دم العهد» سوى دم المسيح. كما قال هو نفسه: «هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ...» (متَّى ٢٦: ٢٨). وعندما يتكلَّم الكتاب المقدَّس عن دم المسيح، يتكلَّم عن موته. فما من

خلاصٍ يُنجَز بمجرَّد نزف دمٍ من المسيح. إذ إنَّ نزف دمه **حتَّى الموت** هو ما يجعل سفك دمه حاسماً.

والآن، ما هي العلاقة بين سفْك دم المسيح هذا وقيامته؟ يقول الكتاب المقدَّس إنَّه أُقيم حيّاً ليس **بعد** سفْك دمه فحسْب، بل **بواسطته** أيضاً. وهذا يعني أنَّ ما أنجزه موتُ المسيح كان كاملاً وتامّاً على وجه الإطلاق بحيثُ كانت القيامة هي **المكافأة والإثبات** لإنجاز المسيح في موته.

إنَّ غضب الله استوفى حقَّه بتألُّم المسيح وموته. فاللَّعنة المقدَّسة على الخطيَّة امتُصَّت إلى التمام. وطاعة المسيح كُمِّلَت إلى الحدِّ الأقصى. وثمن الغُفران دُفِع كاملاً. وبِرُّ الله تزكَّى كلّيّاً. فكان كلُّ ما بقي واجباً إتمامُه هو التصريح، إذ أقام المسيح حيّاً من بين الأموات.

وعندما يقول الكتاب المقدَّس: «إِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ!» (١كورنثوس ١٥: ١٧)، فليس المقصود أنَّ القيامة هي الثمن المدفوع لقاء خطايانا؛ بلِ المقصودُ أنَّ موت المسيح هو الثمن الكلِّيُّ الكفاية. فلو أنَّ المسيح لم يقُم من بين الأموات، لكان موتُه إخفاقاً، وما كان الله زكَّى إنجازه في حمْل الخطيَّة، ولكُنَّا ما نزال في خطايانا.

ولكنَّ المسيح بالحقيقة « أُقِيمَ... مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ» (رومية ٦: ٤). فإنَّ نجاح آلامه وموته قد أُثبت. وإن كنَّا نضع ثقتنا في المسيح، **فلا** نبقى بعدُ في خطايانا. لأنْ «بِدَمِ الْعَهْدِ الأَبَدِيِّ»، أُقيم راعي الخراف العظيم حيّاً من بين الأموات، وهو حيٌّ إلى الأبد.

٥

ليُبيِّن غِنى محبَّة اللّه ونعمته للخُطاة

فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارّ.
رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضاً أَنْ يَمُوتَ.
وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ
مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا.

رومية٥: ٧ و٨

لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ،
لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.

يوحنّا ٣: ١٦

الَّذي فيه لَنَا الْفدَاءُ بدَمه،

غُفْرَانُ الْخَطَايَا،

حَسَبَ غنَى نعْمَته.

أفسُس ١: ٧

يظهر مقدار محبة الله لنا بأمرين. الأوَّل هو مدى تضحيته في تخليصنا من عقوبة خطايانا. والثاني هو مدى عدم الاستحقاق الذي كان لنا لمَّا خلَّصنا.

في وسعنا أن نسمع مقدار تضحيته في الكلمات «بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ» (يوحنا ٣: ١٦). ونحن نسمعُه أيضاً في كلمة **المسيح**. فهذه هي الترجمة العربيَّة للكلمة اليونانيَّة **خريستوس**، أي «الممسوح»، (في العبريَّة «مشِيَح» وحسب اللفظ اليونانيّ «مَسِيًّا»)، بمعنى المخلِّص المنتظر المعيَّن من الله. وقد كان منتظراً أن يكونَ المسيح مَلِكَ الأُمَّة، فيهزمَ الرُّومان ويُحِلَّ السَّلام والأمن. وعليه، فإنَّ الشَّخص الذي أرسله الله لتخليص الخُطاة كان هو ابنَه الأزليَّ، ابنَه الوحيد، وملِكَ الأُمَّة الممسوح، المعيَّن والمختار، بل بالحقيقة مَلِك العالَم كلِّه (إشعياء ٩: ٦ و٧).

وعندما نُضيف إلى هذه الفكرة موتَ الصَّلبِ المروِّعَ الذي احتمله المسيح، يُصبِح واضحاً أنَّ التضحية التي قام بها الآب والابن كانت عظيمة على نحوٍ لا يوصف، بل غيرَ محدودة أبداً، عندما ننظر بعين الاعتبار إلى التباعُد بين ما هو إلهيٌّ وما هو بشريٌّ. ولكنَّ الله اختار أن يقوم بهذه التضحية لكي يُخلِّصنا.

ويتضاعف جدّاً قياس محبة الله لنا بعدُ حين نُفكِّر في عدم استحقاقنا. «رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضاً أَنْ يَمُوتَ. وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ **وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ**

مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رومية ٥: ٧ و٨). فقد كنَّا نستحقُّ العقوبة الإلهيَّة، لا التَّضحية الإلهية.

لقد سمعتُ قولاً يُقال: «الله لم يمُت من أجل الضفادع. ولذلك فهو كان مُستجيباً لقيمتنا بوصفنا بَشَراً.» ولكنَّ هذا يقلب النِّعمة رأساً على عقب. فنحن أسوأ بكثيرٍ جدّاً من الضفادع. فإنَّهنَّ لم يُخطئن. ولم يتمرَّدنَ ويُعاملنَ الله باحتقار تهميشه في حياتهنَّ. وما كان الله مُضطرّاً لأن يموت من أجل الضفادع. إنهنَّ لسن رديئاتٍ إلى أبعد حدّ. أمَّا نحن فأردياء حقّاً. فدَينُنا عظيمٌ جدّاً بحيث لا يمكن أن تُوفِيَه إلاَّ تضحيةٌ إلهيَّة.

وهنالك فقط تفسير واحد لتضحية الله من أجلنا. فليس هو نحن، بل هو «غِنَى نِعْمَتِهِ» (أفسُس ١: ٧). والأمر كلُّه مجَّاني. فهو ليس استجابةً لقيمتنا. إنَّه فيضُ قيمته اللامحدودة. وبالحقيقة أنَّ تلك هي ماهيَّة المحبَّة الإلهيَّة في نهاية المطاف: شغفٌ بأن يُفتَن الخُطاة غيرُ المستحقِّين، لقاء ثمنٍ غالٍ، بما سيجعلُنا سُعَداء أسمى سعادة إلى الأبد؛ ألا وهو جمالُه الإلهيُّ اللا محدود.

٦

ليُبيِّن محبَّته الخاصَّة لنا

أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ... وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا،
قُرْبَاناً وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً.
أفسس ٥: ٢

أَحَبَّ الْمَسِيحُ... الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا»
أفسس ٥: ٢٥

«أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي.
غلاطية ٢: ٢٠

ليس موت المسيح فقط بُرهان محبَّة الله (يوحنا ٣: ١٦)، بل هو أيضاً التعبير الأسمى عن **محبَّة المسيح الخاصَّة** لجميع الذين يقبلونها كنزاً لهم. فإنَّ الشُّهود الأوَّلين الذين

عانَوا أقسى الآلام لكونهم مؤمنين بالمسيح أسرَتهم هذه الحقيقة: أنَّ المسيح «أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» (غلاطية ٢: ٢٠). لقد اعتبروا فِعلَ بذْل الذات في تضحية المسيح من منظورٍ شخصيٍّ للغاية، فقالوا: «**أحبَّني** المسيح وأسلم نفسه **لأجلي**».

ويقيناً أنَّ هذه هي الطريقة التي بها ينبغي أن نفهم آلام المسيح وموته. إذ إنَّ لها علاقةً وثيقة بي أنا. وهي تخصُّ محبَّة المسيح لي شخصيّاً. **فخطيَّتي** هي التي تفصلني عن الله، لا الخطيَّة عموماً. وقساوةُ **قلبي وبلادتي** الروحيَّة هما اللتان تحطَّان من قدْر المسيح. وأنا ضالٌّ وهالك. ففي ما يتعلَّق بالخلاص، حُرِمتُ كلَّ حقٍّ في العدل. وكلُّ ما أستطيع أن أفعله هو أن ألتمس الرَّحمة.

ثُمَّ أرى المسيح متألِّماً ومائتاً. لأجل مَن؟ تقول كلمةُ الله: «أَحَبَّ الْمَسِيحُ...**الْكَنِيسَةَ** وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا» (أفسُس ٥: ٢٥). «لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ **أَحِبَّائِهِ**» (يوحنا ١٥: ١٣). «كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ **كَثِيرِينَ**» (متَّى ٢٠: ٢٨). [التعبير «ابن الإنسان» إشارة إلى طبيعة المسيح الإنسانيَّة، وأيضاً إلى سيادته في مُلكه المستقبليِّ بحيث يصحُّ أن يُقال إنَّه «سيِّد البشر»، كما أنَّ التعبير «ابن الله» يُشير إلى طبيعته الإلهيَّة].

ثُمَّ أسألُ: أأنا بين الـ «كثيرين»؟ أيُمكِنني أن أكون واحداً من «أحبَّائه»؟ وهل لي أن أنتميَ إلى «الكنيسة»؟ فأسمع الجواب: «آمِن بالربِّ يسوع المسيح، فتخلص» (أعمال ١٦: ٣١). «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ» (رومية ١٠: ١٣). إنَّ « كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا» (أعمال ١٠: ٤٣). «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يوحنَّا ١: ١٢). «لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يوحنَّا ٣: ١٦).

عندئذٍ ينعطف قلبي، وأتقبَّل جمالَ المسيح وجُودَه كنزاً لي. فتتدفَّق إلى قلبي هذه الحقيقة العظيمة: أنَّ محبة المسيح هي لي. وهكذا أقول مع أُولئك الشُّهود الأوَّلين: «أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي.»

وماذا أعني؟ إنَّني أعني أنَّه دفع أغلى ثمن ممكن ليُعطيَني أعظم عطيَّة ممكنة. وما هي تلك؟ إنَّها العطيَّة التي لأجلها صلَّى قُبيلَ موته: «أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي» (يوحنا ١٧: ٢٤). ففي آلامه وموته «رَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً» (يوحنا ١: ١٤). لقد رأينا ما يكفي لأنْ نؤسَر لأجل قضيَّته. ولكنَّ الأفضل آتٍ بعد. إنَّه مات ليضمن لنا هذا. تلك هي محبَّة المسيح.

٧

ليُلغيَ مطالب الناموس الشَّرعيَّة ضدَّنا

وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً فِي الْخَطَايَا...
أَحْيَاكُمْ [اللهُ] مَعَهُ،
مُسَامِحاً لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ
مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ،
الَّذِي كَانَ ضِدّاً لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ
مُسَمِّراً إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ.
كولوسي٢: ١٣ و١٤

يا لها من حماقة أن نعتقد أنَّ أعمالنا الحسنة قد تفوقُ وزناً ذاتَ يوم أعمالنا السيِّئة! وهذه حماقةٌ لسببين. أوَّلُهما أنَّ **هذا ليس صحيحاً**. حتَّى أعمالنا الصالحة ناقصة، لأنَّنا لا نُكرِم الله كما نُكرِم تلك الأعمال. فهل نعمل أعمالنا الحسنة باتِّكالٍ

فَرِحٍ على الله ونظرُنا على إعلان أهميَّته السامية؟ وهل نُتمِّم الوصيَّة الأوْجيَّة بأن نخدم الناس بالقوَّة التي «يَمْنَحُهَا اللهُ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اللهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١بطرس ٤: ١١)؟

فماذا عسانا نقول ردّاً على كلمة الله:«كُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ فَهُوَ خَطِيَّةٌ» (رومية ١٤: ٢٣)؟ أعتقد أنَّنا لن نقول شيئاً. «كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ...لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ» (رومية ٣: ١٩). فلن نقول أيَّ شيء. وإنَّها لَحماقةٌ أن نعتقد أنَّ أعمالنا الحسنة سوف تفوق وزناً أعمالَنا السيِّئة أمام الله. فبمعزل عن الإيمان الممجِّد للمسيح، لن تدلَّ أعمالُنا إلاَّ على عِصياننا.

أمَّا ثاني سبب لكون الأمل بالأعمال الصالحة حماقةً فهو أنَّ **هذا ليس طريق الله للخلاص**. وإذا كُنَّا سنُخلَّص من عواقب أعمالنا السيِّئة، فلن يكونَ ذلك لأنَّها أخفُّ وزناً من أعمالنا الحسنة. بل سيكون ذلك لأنَّ «سِجِلَّ دَيْنِنا» في السَّماء قد سُمِّرَ على صليب المسيح. فإنَّ لدى الله طريقةً لتخليص الخُطاة مُختلفةً كلِّيّاً عن وزن أعمالهم الصالحة. ولا رجاءَ في أعمالنا، بل الرجاءُ الوحيد في آلام المسيح وموته فحسْب.

ليس من خلاص بوضع سِجلاَّتنا في الميزان. إنَّما الخلاص هو فقط بإلغاء ديوننا. فإنَّ سِجلَّ أعمالنا السيِّئة (مُتضمِّناً أعمالنا الحسنة الناقصة)، مع العقوبات العادلة التي يستحقُّها كلُّ عملٍ منها، يجب أن يُمحى، لا أن يُوازَن. وهذا هو ما تألَّم المسيح ومات لكي يُنجِزه.

لقد حصل الإلغاء لمَّا أزاح الله سِجلَّ أعمالنا «مُسَمِّراً إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ» (كولوسي ٢: ١٤). فكيف سُمِّر ذلك السِجلُّ الجالب للَّعنة بالصليب؟ إنَّ الرَّقَّ المكتوب لم يُسمَّر بالصليب، بل المسيح سُمِّر به. وهكذا صار المسيحُ حاملَ سِجلِّي اللاَّعِنِ المشتمل على الأعمال السيِّئة (والحسنة). فهو كابدَ حُكم اللَّعنة عِوَضاً عنِّي. وهو وضع خلاصي على قاعدة راسخة مُختلفة تماماً. فهو رجائي الوحيد. والإيمانُ به هو طريقي الوحيد إلى الله.

٨

ليصير فديةً عن كثيرين

لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضاً لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ
بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ.
مرقس ١٠: ٤٥

ليس في الكِتاب المقدَّس أيُّ فكرٍ بأنَّه وجَبَ أن يُدفع للشَّيطان ثمنٌ وافٍ كي يدَعَ الخطاة يُخلَّصون. فما حدث للشَّيطان لما مات المسيح لم يكُن دفعاً، بل كان هزيمة. وقد صار ابن الله بشراً «لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ» (عبرانيِّين ٢: ١٤). فلم يحصل أيُّ تفاوُض.

حين يقول المسيح إنَّه جاء «ليبذل نفسه فدية»، ليس التركيز على مَن يتلقَّى الدَّفع. إنَّما التركيز هو على دفعه حياتَه ذاتَها، وعلى حرِّيَّته في أن يخدم بدَلَ أن يُخدم، وعلى الـ "كثيرين" الذين سوف يستفيدون من الدَّفعة التي يؤدِّيها.

وإذا سألْنا، مَن تلقَّى الفدية؟ فلا بدَّ أن يكون جواب الكتاب المقدَّس أنَّه الله يقيناً. فإنَّ الكتاب يقول إنَّ المسيح "أَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَاناً...لله» (أفسس ٥: ٢). وإنَّه «قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلّهِ بِلاَ عَيْبٍ» (عبرانيين ٩: ١٤). فالحاجة الكلِّيَّة إلى بديل يموت عوضاً عنا لأننا قد أخطأنا إلى الله وقصَّرنا عن تمجيد الله (رومية ٣: ٢٣). وبسبب الخطيَّة، قد صار «كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ» (رومية ٣: ١٩). وهكذا، فلمَّا قدَّم المسيح حياته فديةً عنا، يقول الكتاب المقدَّس إنَّنا حُرِّرنا من حُكم الدينونة الإلهيِّ. «إِذاً لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (رومية ٨: ١). فالأسْر الأقصى الذي نحتاج لأنْ نُحرَّر منه هو «دينونة الله» (رومية ٢: ٢؛ رؤيا ١٤: ٧).

إنَّ ثمن الفدية لهذا الإعفاء من دينونة الله هو حياة المسيح. لا حياته إذ عاشها فقط، بل بالأحرى حياتُه إذ بذلها بالموت.

وقد قال المسيح لتلاميذه تكراراً: «إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ» (مرقس ٩: ٣١). وبالحقيقة أنَّ واحداً من الأسباب التي من أجلها أحبَّ المسيح ان يدعو نفسه «ابن الإنسان» (فوقَ خمسٍ وستِّين مرَّة في الأناجيل الأربعة) كان أنَّ هذا اللَّقب له رنَّةُ الموت. فالناس يموتون. ولذلك كان لا بدَّ أن يصير إنساناً. إذ لم يكُن ممكناً أن يَدفع الفِديةَ إلاَّ ابنُ الإنسان، لأنَّ الفدية كانت حياة تُبذَل بالموت.

ثُمَّ إنَّ الثمن لم يؤخذ منه قسراً. ذلك هو المقصود بالقول: «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضاً لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ». فهو لم يكُن يحتاج أيَّة خدمة منَّا. إذ كان هو المعطي، لا الآخذ. وقد قال عن حياته: «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي» (يوحنا ١٠: ١٨). فالثمن دُفِع طوعاً، ولم يُستوفَ قسراً. وهذا يأتي بنا من جديد إلى محبَّة المسيح. فإنَّه اختار بمحض إرادته أن يُنقِذنا دافعاً حياته ثمناً لذلك.

كم من الناس فعلاً فدَى المسيح من الخطيَّة؟ لقد قال إنَّه جاء «لِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ **كَثِيرِينَ**.» ومع ذلك لن يُفدى الجميع من غضب الله. إلاَّ أنَّ **التَّقدمة** هي لأجل الجميع. «يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً **لأَجْلِ الْجَمِيعِ**» (١تيموثاوس ٢: ٥ و٦). فلا أحد مُستثنًى من هذا الخلاص إذا قبِلَ كنز المسيح المفتدي.

٩

لأجل غفران خطايانا

الَّذي فيه لَنَا الْفدَاءُ بدَمه،
غُفْرَانُ الْخَطَايَا.

أفسس١ : ٧

هذَا هُوَ دَمي الَّذي للْعَهْد الْجَديد،
الَّذي يُسْفَكُ منْ أَجْل
كَثيرينَ لمَغْفرَة الْخَطَايَا.

متَّى٢٦ : ٢٨

عندما نُسامِح بدَين أو إساءة أو إصابة، لا نطلب تعويضاً لتسوية الأمر. وإلاَّ، كان ذلك عكس الغفران. فإذا دُفِعَ شيءٌ لنا من أجل ما خسرناه، لا تدعو الحاجة إلى الغُفران. إذ نكون قد استوفَينا حقَّنا.

إنَّ الغُفران يقتضي النِّعمة. فإذا آذيتَني، تصفح النِّعمة عن الأمر. ولا أُقاضيك، بل أغفر لك. إنَّ النِّعمة تُعطي المرء ما لا يستحقُّه. ولذلك ترتبط المغفرة **بالعطاء**. فهي ليست «أخذ» الثأر، بل التَّخلِّي عن حقِّ الانتقام.

ذلك هو ما يفعله الله لنا عندما نتوكَّل على المسيح: «أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا» (أعمال ١٠: ٤٣). فإذا آمنَّا بالمسيح، لا يعود الله يُبقي خطايانا محسوبةً علينا. وهذه هي شهادة الله نفسه في الكتاب المقدَّس: «أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي» (إشعياء ٤٣: ٢٥). «كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا» (المزمور ١٠٣: ١٢).

ولكنَّ هذا يُثير مشكلة. فنحن جميعاً نعلم أنَّ الصَّفح لا يكفي. ولعلَّنا فقط نرى ذلك بوضوح عندما يكون التعدِّي جسيماً، كالقتل أو الاغتصاب مثلاً. فلا المجتمع ولا العالَم يمكن أن يتماسك إذا قال القُضاة (أو الله) لكلِّ قاتل ومغتصِب: «أأنت آسف؟ لا بأس! إنَّ الدولة تُسامحُك. في وسعك أن تمضيَ في سبيلك.» ففي حالات كهذه نرى أنَّ الدَّولة لا يمكن أن تتخلَّى عن العدالة، حتَّى لو كان لدى الضَّحيَّة رُوحٌ صَفوح.

هكذا الحالُ مع عدل الله. فكُلُّ خطيَّة هي خطيرة، لأنَّها ضدَّ الله (راجِع الفصل الأوَّل). إنَّه هو مَن يُهانُ مجدُه عندما نتجاهلُه أو نَعصيه أو نُجدِّف عليه. فلَن تدَعَه عدالتُه يُطلِقنا أحراراً هكذا، كما لا يستطيع قاضٍ بشريٌّ أن يُلغيَ جميع الدُّيون التي على المجرِمين للمجتمع. إنَّ الإساءة إلى مجد الله بخطيَّتنا يجب أن يُعوَّض عنها حتَّى يتجلَّى مجده في العدل أكثر بهاءً. وإذا كان لنا نحن المذنبين أن نمضيَ أحراراً ومغفوراً لنا، فيجب أن يحصل إثباتٌ دراماتيكيٌّ يُبيِّن أنَّ كرامة الله مَصونة حتَّى لو أُطلق مُجدِّفون سابقون أحراراً.

لذلك تألَّم المسيح ومات. «فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا» (أفسس١: ٧). إنَّ الغُفران لا يُكلِّفنا أيَّ شيء. وطاعتُنا الغالية هي كلُّها ثَمَرُ كونِنا مغفوري الخطايا، لا أصلُه. ولذلك ندعو هذا نعمة. غير أنَّه كلَّف المسيح حياته. ولذلك ندعوه عدلاً. حقّاً، ما أثمن الخبر بأنَّ الله لا يُبقي خطايانا محسوبةً علينا! وما أجمل المسيح الذي جعل الله على حقٍّ بأن يفعل هذا!

١٠

ليُعدَّ الأساس لتبريرنا

نَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمه.
رومية٥: ٩

[صرنا] مُتَبَرِّرِينَ مَجَّاناً بِنِعْمَتِه،
بِالْفِدَاءِ الَّذي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.
رومية٣: ٢٤

نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ
بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ.
رومية٣: ٢٨

أن يكون الإنسان مبرَّراً أمام الله وأن يكون مغفور الخطايا من قِبَل الله ليسا أمرَين مُتماثِلَين. وأن يتبرَّر المرء في قاعة محكمة ليس هو نفسَه أن يُغفَر له. فكَوني مُسامَحاً

يعني ضمناً أنَّني مُذنِب وأنَّ ذنبي لا يُحسَب عليَّ. وكوني مُبرَّراً يعني ضمناً أنَّي حُوكِمتُ ووُجِدتُ بريئاً. إنَّ دعواي حقٌّ، وقد ثبتت براءتي، **والقاضي** يقول: «غيرُ مُذنِب».

إنَّ التَّبرير فعلٌ قضائيٌّ شرعيٌّ. إنَّه حُكم. وحُكم التبرير لا يجعل الإنسان بارّاً، بل **يُعلِن** أنَّ الإنسان بارّ. فهو مؤسَّس على كون المرء بارّاً فعلاً. ونرى هذا بأقصى وضوح حيث يقول لنا الكتاب المقدَّس إنَّ الشَّعب «بَرَّرُوا اللهَ» (لوقا ٧: ٢٩). فهذا لا يعني أنَّهم **جعلوا** الله بارّاً (بما أنَّه بارٌّ دائماً أبداً)، بل يعني أنَّهم أعلنوا أنَّ اللهَ بارٌّ.

ليس التغيير الأدبيُّ أو الخُلقيُّ الذي يجري لنا عندما نضع ثقتنا في المسيح هو التبرير. والكتاب المقدَّس يدعو ذلك عادةً التقديس: عمليَّة صيرورتنا صالحين. فالتبرير ليس تلك العمليَّة. إنَّه ليس عمليَّة مستمرَّة على الإطلاق. إنَّه إعلانٌ يتمُّ في لحظة واحدة. إنَّه حُكم: عادل! بارٌّ!

إنَّ الطريقة المألوفة للتبرير في محكمة بشريَّة مَّا هي إطاعة القانون. وفي تلك الحالة يعلن المحلَّفون والقاضي ما هو صحيحٌ بشأنك: أنَّك راعيتَ القانون. ومن ثَمَّ يُبرِّرونك. ولكنْ في قاعة محكمة الله، نحن لم نُراعِ الشَّريعة. ولذلك فإنَّ التبرير على الأساس المألوف أمرٌ مُستحيلٌ تماماً. حتَّى إنَّ الكتاب المقدَّس يقول: «مُبَرِّئُ الْمُذْنِبِ... مَكْرَهَةُ الرَّبِّ» (أمثال ١٧: ١٥). إنَّما المذهِل، رغم ذلك، أنَّه بفضل المسيح يقول أيضاً إنَّ الله «يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ» الذي يلجأ إلى نعمته (رومية ٤: ٥). إنَّ الله يفعل ما يبدو مكروهاً!

فلماذا ليس ذلك مكروهاً؟ أو بتعبير الكتاب المقدَّس: كيف يمكن أن «يَكُونَ اللهُ بَارّاً وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ [ببساطة!] مِن [ذوي] الإِيمَانِ بِيَسُوعَ؟» (رومية ٣: ٢٦). ليس مكروهاً عند الله أن يُبرِّر الفاجر الذي يتوكَّل عليه واثقاً لسببَين. الأوَّل هو أنَّ **المسيح سفك دمه لإعفائنا من ذنب جريمتنا**. وهكذا يقول الكتاب إنَّنا «مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ» (رومية ٥: ٩). ولكنَّ ذلك هو إزالة الذَّنْب فحسْب. إنَّه لا يُعلِنُنا أبراراً. فإلغاء إخفاقاتنا في

مُراعاة الشريعة ليس أبداً هو نفسُه إعلانَنا مُراعِينَ للشريعة. فعندما يُلغي معلِّم مَّا من السِّجلِّ امتحاناً نال علامةَ رسُوب، لا يكون ذلك نفسه إعطاء علامة نجاح كاملة. وإذا سامحني البنك بالدُّيون المقيَّدة على حسابي، فلن يكون ذلك نفسه إعلاناً أنَّني غنيّ. وهكذا أيضاً، ليس إلغاء خطايانا هو نفسه إعلانَنا أبراراً. لا بُدَّ أن يحصل الإلغاء. فهذا جوهريٌّ بالنسبة إلى التبرير. ولكنَّ هنالك ما هو أكثر من هذا. فإنَّ هنالك سبباً آخر وراء كون الله يُبرِّر الفاجر بالإيمان أمراً غير مكروه. ولأجل ذلك السبب، نتوجَّه إلى الفصل التالي.

١١

ليُكمِل الطاعة التي تصير برَّنا

وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَان، وَضَعَ نَفْسَهُ
وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ.

فيلبِّي ٢: ٨

لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ
خُطَاةً، هكَذَا أَيْضاً بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً.

رومية ٥: ١٩

لأَنَّهُ [اللهُ] جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا،
لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ.

٢كورنثوس ٥: ٢١

...لَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ،
بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ.
فيلبِّي٣: ٩

ليس التبرير مجرَّدَ إلغاءِ إثمي. إنَّه أيضاً حسبان برِّ المسيح لي. فليس لي برٌّ يجعلني مقبولاً عند الله. وتصريحي أمام الله هو هذا: «لَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ» (فيلبِّي ٣: ٩).

هذا هو برُّ المسيح. وهو منسوبٌ إليَّ. ذلك يعني أنَّ المسيح أكمل كلَّ برٍّ إلى التمام، ثُمَّ حُسِب ذلك البرُّ لي لمَّا وثِقتُ بالمسيح. لقد حُسِبتُ بارّاً. إنَّ الله نظر إلى برِّ المسيح الكامل، وأعلن أنَّني بارٌّ ببرِّ المسيح.

وهكذا، فإنَّ هنالك سببَين من أجلهما ليس مكروهاً عند الله أن يبرِّر الفاجر (رومية ٤: ٥). الأوَّل *أنَّ موت المسيح دفع دَين إثمنا* (راجع الفصل السابق). والثاني *أنَّ طاعة المسيح وفَّرت البرَّ الذي كنَّا نحتاج إليه لنُبرَّر في محكمة الله*. فمطالب الله للدخول إلى الحياة الأبديَّة لا تقتصر على أن يُرفَع عنَّا إثمُنا، بل يقتضي أيضاً أن يُرسَّخَ برُّنا الكامل.

ثمَّ إنَّ آلام المسيح وموته هما أساس كلا الأمرين. فتألُّمه هو التألُّم الذي استحقَّه إثمنا. «مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا» (إشعياء ٥٣: ٥). ولكنَّ آلامه وموته كانا أيضاً القمَّة والإكمال للطاعة التي صارت أساسَ تبريرنا. فإنَّه «أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (فيلبِّي ٢: ٨). لقد كان موته ذُروةَ طاعته. وهذا هو ما يُشير إليه الكتاب المقدَّس حيث يقول: «بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً» (رومية ٥: ١٩).

وعليه، فإنَّ موت المسيح صار أساسَ مسامحتنا وكمالنا. إذ إنَّ الله لأجلنا «جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ.» (٢كورنثوس ٥: ٢١). فما معنى أنَّ الله جعل المسيح البريءَ من الخطيَّة خطيَّة؟ معناه أنَّ خطيَّتنا نُسِبَت إليه وحُسِبَت عليه، وهكذا صار هو غُفرانَنا. وما معنى أننا (**نحن** الخطاة) نصير برَّ الله في المسيح؟ معناه، بالمِثل، أنَّ برَّ المسيح نُسِبَ وحُسِبَ لنا، وهكذا صار هو كمالَنا.

لتكُن الكرامة للمسيح من أجل كامل إنجازه في آلامه وموته! سواءٌ كان عملُه في غفران خطايانا أم عملُه في إعداد برِّنا. فلنُعجَب به وندَّخرْه كنزاً لنا ونثِقْ به من أجل هذا الإنجاز العظيم.

١٢

ليرفعَ عنَّا حُكم الدينونة

مَنْ هُوَ الَّذي يَدينُ؟ اَلْمَسيحُ هُوَ الَّذي مَاتَ،
بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضاً، الَّذي هُوَ أَيْضاً
عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذي أَيْضاً يَشْفَعُ فِينَا.
رومية٨: ٣٤

إنَّ النتيجة العظيمة لآلام المسيح وموته هي هذه: «لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (رومية ٨: ١). وأن يكون المرء «في المسيح» يعني أن تكون له علاقةٌ به بالإيمان. فالإيمان بالمسيح يوحِّدنا معه بحيثُ يُصبح موتُه موتَنا، وكمالُه كمالنا. إنَّ المسيح يصير عقوبتنا (التي ليس علينا أن نحملها) وكمالَنا (الذي لا نستطيع أن نُحرِزَه).

ليس الإيمان هو أساسَ قبولنا عند الله، بل الأساس هو المسيح وحدَه. إنَّما الإيمان يوحِّدنا مع المسيح بحيثُ يُحسَب برُّه برّاً لنا. «إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضاً بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا (غلاطية ٢: ١٦). فأن «نَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ» وأن «نتبرَّر في المسيح» (غلاطية ٢: ١٧) تعبيران متوازيان. ذلك أنَّنا في المسيح بالإيمان، ولذلك نحن مُبرَّرون.

وحين يُطرح السؤال: «مَن هو الذي يدين؟» فالجواب بديهيٌّ: لا أحد! ثُمَّ يُعلَن الأساس: «المسيح هو الذي مات!» فإنَّ موت المسيح يضمن إعفاءنا من حُكم الدينونة. وكونُنا لا يمكن أن نُدان هو يقينيٌّ يقينيَّةَ كونِ المسيح قد مات. وليس في محكمة الله خَطَر مزدوج يُحيق بالمتَّهَم. فلن يُحكَم علينا أبداً مرَّتين من أجل المعاصي نفسها. وقد مات المسيح مرَّةً واحدة من أجل خطايانا. فلن نُدان نحنُ عليها. لقد ولَّى حُكم الدينونة، لا لأنَّه ليس من حُكم، بل لأنَّ الحكم سبق أن نُفِّذ.

ولكنْ ماذا نقول عن الإدانة من قِبَل العالَم؟ أليست تلك إجابةً عن السؤال: «من هو الذي يدين؟» أليس المؤمنون بالمسيح مُدانين من قِبَل العالَم؟ لقد سقط كثير من الشُّهَداء! الجواب أنَّه لا أحد يستطيع أن يَدينَنا **بنجاح**. يمكن أن يؤتى بتُهَم، ولكنْ لن تثبتَ أيَّة واحدة منها أخيراً. «مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اَللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ» (رومية ٨: ٣٣). هذا تماماً نظيرُ سؤال الكتاب المقدَّس: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟» (رومية ٨: ٣٥). فليس الجواب أنَّ هذه الأُمور لا تحدث للمؤمنين بالمسيح؛ بل الجواب: «فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا» (رومية ٨: ٣٧).

سوف يأتي العالم بإدانته. حتَّى إنَّ بعضاً سيضعون سيفَهم وراءها. ولكنَّنا نعلم أنَّ المحكمة العليا قد أصدرت أصلاً حُكمها لمصلحتنا. «إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟» (رومية ٨: ٣١). لن ينجح أحد في الوقوف ضدَّنا. فإذا رفضونا، يقبلُنا المسيح. وإذا أبغضونا، فهو يحبُّنا. وإذا حبسونا، فهو يحرِّر أرواحنا. وإذا عذَّبونا، فهو يُنقِّينا بالنار. وإذا قتلونا، فهو يجعل ذلك عبوراً إلى الفِردَوس. إنَّهم لا يستطيعون أن يهزمونا. لقد مات المسيح ثمَّ قام من بين الأموات حيّاً. ونحن أحياءٌ فيه. ونحن أبرار. «أَمَّا الصِّدِّيقُونَ فَكَشِبْلٍ ثَبِيتٍ» (أمثال ٢٨: ١). حقّاً إنَّ الأبرار جسورون كشِبلٍ راسخ الأقدام!

١٣

ليُبطِل الختان وجميع الطُّقوس باعتبارها أساسَ الخلاص

وَأَمَّا أَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَإِنْ
كُنْتُ بَعْدُ أَكْرِزُ بِالْخِتَانِ... إِذاً عَثْرَةُ
الصَّلِيبِ قَدْ بَطَلَتْ.
غلاطية ٥: ١١

جَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْمَلُوا مَنْظَراً
حَسَناً فِي الْجَسَدِ، هؤُلاَءِ يُلْزِمُونَكُمْ أَنْ تَخْتَتِنُوا،
لِئَلاَّ يُضْطَهَدُوا لأَجْلِ صَلِيبِ الْمَسِيحِ فَقَطْ.
غلاطية ٦: ١٢

كانت منزلة الختان موضع جدال كثير في الجماعة المسيحيَّة أوَّلَ عهدها. وقد كانت له منزلةٌ توراتيَّة قديمة العهد مُحترَمة منذ أن أوصى الله به في تكوين ١٧: ١٠. فالمسيح كان يهوديَّ الأصل. وتلاميذه الاثنا عشر كلُّهم كانوا من اليهود. ومُعظم المهتدين الأوَّلين إلى الإيمان المسيحيِّ كانوا ذوي خلفيَّة يهوديَّة. وأسفار العهد القديم كانت (وما تزال) جزءاً من الكتاب المقدَّس في الكنيسة المسيحيَّة. فليس مفاجئاً أن تعبر الطُّقوس المتوارَثة إلى داخل الكنيسة.

وقد عبرَت فعلاً، وانطلق حولها الجدال. وكانت رسالة المسيح تنتشر إلى مُدن خارج فلسطين، كمدينة انطاكية السُّوريَّة. وأخذ أُناس من غير اليهود يؤمنون بالمسيح. فصار مُلِّحاً السؤال: كيف يترابط حقُّ الإنجيل الجوهريُّ مع ممارسات طقسيَّة كالختان؟ كيف تترابط الطُّقوس بإنجيل المسيح: البشارة بأنَّك إن آمنتَ به تُغفَر خطاياك وتتبرَّر أمام الله؟ إنَّ الله معك، ولك حياةٌ أبديَّة!

مضى رُسُل المسيح في جميع أنحاء العالَم غير اليهوديِّ يُبشِّرون بغفران الخطايا والتبرير بواسطة الإيمان وحده. فبطرس نادى بأنَّه للمسيح «يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا» (أعمال ١٠: ٤٣). وبولس بشَّر قائلاً: «فَلْيَكُنْ مَعْلُوماً عِنْدَكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، أَنَّهُ... بِهذَا [الشخص] يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بِنَامُوسِ مُوسَى» (أعمال ١٣: ٣٨ و٣٩).

ولكنْ ما القول في الختان؟ اعتقد بعضُهم في مدينة القُدس أنَّه عُنصر جوهريٌّ. ثمَّ أصبحَت أنطاكية مقرَّ شرارة الجدال. «انْحَدَرَ قَوْمٌ مِن [منطقة] الْيَهُودِيَّةِ، وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ الإِخْوَةَ أَنَّهُ «إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا... لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا»!» (أعمال ١٥: ١). ومن ثَمَّ عُقِدَ مجمع، ونوقِشَت المسألة.

«قَامَ أُنَاسٌ... وَقَالُوا: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَنُوا، وَيُوصَوْا بِأَنْ يَحْفَظُوا نَامُوسَ مُوسَى». فَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ لِيَنْظُرُوا فِي هذَا الأَمْرِ. فَبَعْدَ مَا حَصَلَتْ مُبَاحَثَةٌ كَثِيرَةٌ قَامَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ... اخْتَارَ اللهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ الأُمَمُ كَلِمَةَ الإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ... لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟ لكِنْ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أُولئِكَ أَيْضاً». فَسَكَتَ الْجُمْهُورُ كُلُّهُ»

(أعمال ١٥: ٥-١٢).

ولم ينفذ أحدٌ ببصره إلى قعر المسألة بأجلى ممَّا نفذ الرسول بولس. فإنَّ معنى آلام المسيح وموته كان على المِحَكّ. أكان الإيمان بالمسيح كافياً لجعلنا في مقام سليم أمام الله؟ أم كان الاختتان ضرورياً أيضاً؟ لقد كان الجواب واضحاً تماماً. فلو كرَز بولس بالختان، لكانت «عَثْرَةُ الصَّلِيبِ قَدْ بَطَلَتْ» (غلاطية ٥: ١١). إنَّ الصليب يعني الحريَّة من الاستعباد للطقوس. «فَاثْبُتُوا إِذاً فِي الْحُرِّيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلاَ تَرْتَبِكُوا أَيْضاً بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ» (غلاطية ٥: ١).

١٤

ليأتيَ بنا إلى الإيمان ويُبقيَنا أُمَناء

هذَا هُوَ دَمي الَّذي لِلْعَهْد الْجَديد، الَّذي يُسْفَكُ مِنْ أَجْل كَثيرينَ.

مرقس ١٤: ٢٤

وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْداً أَبَدِيّاً... وَأَجْعَلُ مَخَافَتي في قُلُوبِهِمْ فَلاَ يَحيدُونَ عَنِّي.

إرميا ٣٢: ٤٠

يتكلَّم الكتاب المقدَّس عن «عهد قديم» و «عهد جديد». والكلمة **عهد** تُشير إلى اتِّفاقيَّة جليلة مُلزِمة بين فريقين، تتضمَّن تعهُّدات لكلا الطَّرَفين معزَّزة بقَسَم. ففي الكتاب المقدَّس، العهود التي يقطعها الله مع الإنسان يُبادِرُ هو نفسه إليها. وهو يُحدِّد البنود. أمَّا تعهُّداته فتُحدِّدها مقاصدُه.

يُشير «العهد القديم» إلى الترتيب الذي وضعه الله مع الأُمَّة القديمة في ناموس موسى. وكانت نقطة ضعفه أنَّه لم يكُن مصحوباً بالتغيير الروحيِّ الشامل. ولذلك لم يُطَع ولم يُعطِ حياةً. وقد كُتِبَ بحُروف على حجر، لا بالروح القُدس على القلب. ووعَدَ الأنبياءُ «بعهد جديد» سيكون مُختلفاً. فإنَّه لن يكون من «الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي» (٢كورنثوس ٣: ٦).

إنَّ العهد الجديد فعَّالٌ بصورة جذريَّة أكثر من القديم. فقد سُنَّ على أساس آلام المسيح وموته. «هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ» (عبرانيين ٩: ١٥). وقد قال المسيح عن دمه إنَّه الدم «الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ، الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ» (مرقس ١٤: ٢٤). وهذا يعني أنَّ دم المسيح اشترى قوَّة العهد الجديد ووعودَه. فهو فعَّالٌ إلى أسمى درجة لأنَّ المسيح مات ليجعَله هكذا.

إذاً، ما هي بنود العهد الذي ضمِنَه دم المسيح بنجاح ثابت؟ يصف النبيُّ إرميا بعضاً منها: «أَقْطَعُ... عَهْداً جَدِيداً... هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ... أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ... لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ» (إرميا ٣١: ٣١- ٣٤). إنَّ آلام المسيح وموته تضمن التغيير الداخليَّ لشعبه (الشريعة مكتوبة على قلوبهم) وغُفران خطاياهم.

ولكي يضمنَ المسيح ألاَّ يخيبَ هذا العهد، يقومُ بمبادرة خلْق الإيمان لدى شعبه وضمانِ أمانتهم. إنَّه يأتي إلى الوجود بشعبِ عهدٍ جديد لا بكتابة الشريعة على الحجَر فقط، بل بالأحرى على القلب. وبالمباينة مع «الحرف» على الحجَر، يقول إنَّ «الروح يُحيي» (٢كورنثوس ٣: ٦). «وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا [اللهُ] مَعَ الْمَسِيحِ» (أفسس ٢: ٥). هذه هي الحياة الروحيَّة التي تُمكِّننا من أن نرى مجد المسيح ونؤمن به. وهذه المعجزة تخلق شعب العهد الجديد. وهي أكيدة ومؤكَّدة لأنَّ المسيح اشتراها بدمه.

وليست المعجزة هي خلْقَ إيماننا فقط، بل هي أيضاً ضمانُ أمانتنا. «وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْداً أَبَدِيّاً... وَأَجْعَلُ مَخَافَتِي فِي قُلُوبِهِمْ فَلاَ يَحِيدُونَ عَنِّي» (إرميا ٣٢: ٤٠). فلمَّا مات المسيح ضمِنَ لشعبه لا فقط قلوباً جديدة، بل أيضاً ضماناً وأماناً جديدَين. إنَّه لن يدَعَهم يَحيدون عنه. إنَّه سيحفظهم. وهم سيثبتون ويُثابِرون. فدمُ العهد يضمنُ هذا.

١٥

ليجعلنا قدِّيسين وبلا لوم وكاملين

لأَنَّهُ بِقُرْبَان وَاحد قَدْ
أَكْمَلَ إِلَى الأَبَد الْمُقَدَّسِينَ.
عبرانيين ١٠: ١٤

قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِه
بِالْمَوْت، لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ
وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ.
كولوسي١: ٢١ و٢٢

إِذاً نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ،
لِكَيْ تَكُونُوا عَجِيناً جَدِيداً كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ.
لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا.
١كورنثوس ٥: ٧

من أعظم الأحزان في الحياة المسيحيَّة بطءُ تغيُّرنا. فنحن نسعى لأنْ نحبَّه من كلِّ قلبنا وكلِّ نفسنا وفكرنا وقُدرتنا (مرقس ١٢: ٣٠). ولكنْ هل نرتقي مرَّةً إلى تلك الشُّموليَّة في المحبَّة والتكريس؟ إنَّنا نصرخ دائماً مع الرسول بولس: «وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟» (رومية ٧: ٢٤). ونحن نئنُّ حتَّى فيما نعقد العزم على تصاميم جديدة: «لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضاً الْمَسِيحُ يَسُوعُ» (فيلبِّي ٣: ١٢).

تلك العبارة بعينها: «أَدْرَكَنِي أَيْضاً الْمَسِيحُ يَسُوعُ»، إذ جعلني خاصَّةً له، هي مفتاح الثبات والفرح. فكلُّ سعيي واشتياقي وجهادي ليس لكي أنتمي إلى المسيح (فهذا قد حصل فعلاً)، بل لكي أُكمِل ما نقص من مُشابهتي له.

ومن أعظم مصادر الفرح والثبات بالنسبة إلى المؤمن بالمسيح عِلمُنا بأنَّنا في نُقصان تقدُّمنا قد جُعلنا مُكمَّلين فعلاً، وبأنَّ ذلك هو بفضل آلام المسيح وموته. «لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ [ألا وهو ذاتُه!] قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ» (عبرانيين ١٠: ١٤). وهذا مُذهِل! ففي الجملة نفسها نوصف بكوننا «مقدَّسين» [أي خاضعين باستمرار لعمليَّة التقديس] وبأنَّ المسيح **قد أكملنا** فعلاً.

فكوننا نُقدَّس يعني أنَّنا غير كاملين وأنَّ تقديسَنا جارٍ مجراه. إنَّنا صائرون قدِّيسين، ولكنَّنا لسنا بعدُ قدِّيسين إلى التمام. وعلى وجه التحديد، هؤلاء – وهؤلاء وحدَهم – هم الذين قد أُكملوا حقّاً. فالتشجيع المبهِج هنا هو أنَّ الدليل على كمالنا أمام الله ليس هو كمالَنا المختبَر، بل هو تقدُّمُنا المستمرُّ. والبُشرى هي أنَّ كوننا على الطريق هو برهانٌ على أنَّنا قد وصلنا.

ويعبِّر الكتاب المقدَّس أيضاً عن هذه الحقيقة بلُغة العجين والخمير القديمة. ففي الصُّورة البيانيَّة، الخمير عنصرٌ شرِّير. ونحنُ العجينُ الطازج. ويقول الكتاب: «إِذاً نَقُّوا

مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا عَجِيناً جَدِيداً كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ. لأَنَّ [خروفَ] فِصْحِنَا أَيْضاً الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ» (١كورنثوس ٥: ٧). فالمؤمنون بالمسيح «فطير» من حيثُ مقامُهم أمام الله، حيثُ لا خميرَ، أي لا شرَّ. ذلك أنَّنا مُكمَّلون. ولهذا السبب ينبغي لنا أن نُنقِّيَ منَّا «الخميرة العتيقة». فنحنُ جُعِلنا فطيراً في المسيح. وهكذا ينبغي لنا الآن أن نصير بِلا خميرٍ عمليّاً في الممارسة. وبعبارة أُخرى: ينبغي لنا أن نصير ما نحن بالحقيقة.

وما هو أساس هذا كلِّه؟ «لأنَّ فصحنا أيضاً، المسيح، قد ذُبِح.» فإنَّ آلام المسيح وموته تضمن كمالَنا ضماناً تامّاً راسخاً بحيثُ هو الآن حقيقةٌ واقعة. وعليه، فنحن نُقاوِم خطيَّتنا ليس لكي **نصير** كاملين تماماً، بل لأنَّنا **كاملون** حقّاً. وموت المسيح هو المفتاح لدحر نقائصنا على أساس كمالنا الراسخ.

١٦

ليُعطِيَنا ضميراً نقيّاً

فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ،
الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلهِ بِلاَ عَيْبٍ،
يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا
اللهَ الْحَيَّ!

عبرانيين ٩: ١٤

بعض الأشياء لا تتغيَّر أبداً. ومشكلةُ ضميرٍ قَذِر قديمةٌ قِدَمَ آدم وحوَّاء. فما إن أخطأا، حتَّى تدنَّس ضميرُهما. إذ كان شعورهما بالذَّنب مُدمِّراً. فقد دمَّر علاقتهما بالله، فاختبأا منه! ودمَّر علاقتهما بعضِهما ببعض، فأطلقا اللَّوم. ودمَّر سلامهما مع أنفُسِهما، فأوَّل مرَّة رأيا أنفُسَهما وشعرا بالخجل.

وفي كلِّ موضِع من كتاب العهد القديم، كان الضمير مسألةً جوهريَّة. غير أنَّ الذبائحَ الحيوانيَّة التَّعويضيَّة لم تقدر أن تُطهِّر الضَّمير. إذ كانت «تُقَدَّمُ قَرَابِينُ وَذَبَائِحُ،

لاَ يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ الضَّمِيرِ أَنْ تُكَمِّلَ الَّذِي يَخْدِمُ [أي العابدَ]، وَهِيَ قَائِمَةٌ بِأَطْعِمَةٍ وَأَشْرِبَةٍ وَغَسَلاَتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَفَرَائِضَ جَسَدِيَّةٍ فَقَطْ، مَوْضُوعَةٍ إِلَى وَقْتِ الإِصْلاَحِ» (عبرانيين ٩: ٩ و١٠). فكصورة مُسبَّقة عن المسيح الآتي، اعتبر الله دم الحيوانات كافياً لتطهير الجسَد، أي النجاسة الطقسيَّة، إنَّما ليس الضمير.

ما من دم حيوانيٍّ أمكن أن يُطهِّر الضمير. وقد عرَفَ القُدامى ذلك (راجع إشعياء ٥٣ والمزمور ٥١). ونحن نعرف ذلك. وهكذا جاء كاهنٌ أعلى جديد ـ يسوعُ ابنُ الله ـ بذبيحةٍ فُضلى، أي شخصه بالذَّات. «فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلّهِ بِلاَ عَيْبٍ، **يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ** مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا [تعبدوا] اللهَ الْحَيَّ!» (عبرانيين ٩: ١٤). فالذبائح الحيوانيَّة التَّعويضيَّة صُورةٌ سبْقيَّةٌ لذبيحة ابن الله، وموت الابن ذو مفعولٍ رجعيٍّ بِسَتْرِ جميع خطايا الشَّعب في فترة العهد القديم، وذو مفعولٍ مُستقبليٍّ بِسَترِ جميع خطايا شعب الله ـ المؤمنين بالمسيح ـ في فترة العهد الجديد.

وهكذا نحن هُنا في العصر الحديث ـ عصر العلوم والإنترنَت وازدِراع الأعضاء والتَّراسُل الآنيِّ والهواتف الخَلَويَّة – وما زالَت مشكلتنا جوهريّاً هي إيَّاها كما في كلِّ حين: أنَّ ضميرنا يتَّهمنا ويدينُنا. ونحن لا نشعر بأننا صالحون كفايةً لأنْ نتقدَّم إلى الله. ومهما كانت ضمائرُنا مُفسَدةً، فهذه الحقيقة ثابتة: أنَّنا صالحون كفايةً لأنْ نتقدَّم إليه.

في وسعنا أن نُجرِّحَ أنفُسَنا، أن نطرحَ أولادنا في النَّهر المقدَّس، أو نتبرَّع بمليون دولار لإحدى المؤسَّسات الخيريَّة الكُبرى، أو نخدمَ في أحد مطاعم الفُقراء المجَّانيَّة، أو نؤدِّي مئة شكل من العقوبة الذاتيَّة أو إنزال الأذى بالذَّات على سبيل التعويض، ولكنَّ النتيجة ستكون هي إيَّاها: لن يزولَ دَنَسُ الضَّمير، وسيبقى الموتُ المروِّع بانتظارنا. إنَّنا

نعلم أنَّ ضمائرنا مُدنَّسة، لا بأمورٍ خارجيَّة كمسٍّ جُثَّةٍ أو أكلِ لحمٍ مُحرَّم. وقد قال المسيح إنَّ ما يُنجِّس شخصاً مَّا ليس هو ما يدخل جوفَه بل ما يخرج منه (مرقس ٧: ١٥- ٢٣). فنحنُ مُنجَّسون بالكبرياء ورثاء الذات والمرارة والشَّهوة والحسَد والغَيرة والجشَع والاشتهاء واللامُبالاة والخوف، وبالأفعال التي تُنتِجها هذه كلُّها. وهذه جميعاً «أعمال ميِّتة». فلا حياةَ روحيَّة فيها. وهي لا تصدر من الحياة الجديدة، بل تصدر من الموت، وإلى الموت تؤدِّي. لذلك تجعلُنا نشعر باليأس والبؤس في ضمائرنا.

إنَّ الحلَّ في هذه الأزمنة الحديثة، كما في جميع الأزمنة الأُخرى، هو دمُ المسيح. فحين يقومُ ضميرنا ويدينُنا، فإلى أين نلجأ؟ إنَّنا نلجأ إلى المسيح. نلجأ إلى آلام المسيح وموته، إلى دم المسيح. فهذا هو في الكون العُنصُر المطهِّر الوحيد الذي يمكن أن يُعطيَ الضمير فرَجاً وراحة في الحياة وسلاماً واطمئناناً عندَ الموت.

١٧

ليُحصِّل لنا كلَّ ما هو لخيرنا

اَلَّذي لَمْ يُشْفقْ عَلَى ابْنه، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلنَا أَجْمَعينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟

رومية ٨: ٣٢

يُعجبُني المنطِق في هذه الآية. ليس لأنَّني أهوى المنطق، بل لأنَّه يروقُني أن تُسَدَّ احتياجاتي. فبينَ نِصفَي رومية ٨: ٣٢ ترابُطٌ منطقيٌّ مهمٌّ على نحو مُذهِل. وقد يفوتُنا الانتباه إلى هذا الأمر، لأنَّ النِّصف الثاني سؤال: «كيف لا يَهَبُنا أيضاً معه كلَّ شيء؟» ولكنْ إذا حوَّلنا السؤال إلى الجملة الخبريَّة التي يتضمَّنها، ننتبه إلى ذلك: «اَلَّذي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، **لا بُدَّ أن يَهَبنا يقيناً** معه أيضاً كلَّ شيء».

وبكلماتٍ أُخرى، إنَّ الترابُط بين النِّصفين مقصودٌ به أن يجعل النِّصف الثاني يقينيّاً مئةً في المئة. فما دام الله قد فعل أصعب شيءٍ على الإطلاق – ألا وهو أنَّه أسلم ابنه للتألُّم والموت – فمن المؤكَّد إذاً أنَّه سيفعل الأمر السَّهل نسبيّاً، ألا وهو أن يُعطيَنا مُنعِماً

كلَّ شيء معه. إنَّ التزام الله التامَّ أن يُعطيَنا كلَّ شيء هو أكثر يقينيَّةً من تضحيته بابنه. لقد بذل ابنه «لأجلنا أجمعين». وإذ فعلَ ذلك، فهل يمكن أن يكفَّ عن كونه معنا؟

ولكنْ ما معنى «يهبنا... كلَّ شيء»؟ لا حياةَ راحةٍ هيِّنةً ليِّنة. ولا حتَّى أماناً من الأعداء. نعلم هذا ممَّا يقوله الكتاب المقدَّس بعدَ أربع آيات: «مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ» (رومية ٨: ٣٦). وكثيرون من المؤمنين بالمسيح، حتَّى اليومَ، يعانون هذا النَّوع من الاضطهاد. فحين يقول الكتاب المقدَّس: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟» (رومية ٨: ٣٥)، فالجواب هو: لا شيء. ليس لأنَّ هذه الأُمور لا تحصل للمؤمنين بالمسيح، بل لأنَّه «فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا» (رومية ٨: ٣٧).

إذاً، ما معنى أنَّ الله، بسبب موت المسيح لأجلنا، سيهَبُنا معه يقيناً «كلَّ شيء»؟ معناه أنَّه سيهبنا كلَّ ما هو لخيرنا: كلَّ ما نحتاج إليه حقّاً لكي نكون مُشابهين صورة ابنه (رومية ٨: ٢٩)؛ كلَّ ما نحتاج إليه لكي نحظى بالفرح الأبديّ.

هذا مُماثل تماماً للوعد الآخر الوارد في الكتاب المقدَّس: سيملأ «إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (فيلبِّي ٤: ١٩). وهذا الوعد موضَّح في الكلمات السابقة: «فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ، وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ. أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فيلبِّي ٤: ١٢ و١٣).

يقول الكتاب إنَّنا نستطيع «كلَّ شيء» في المسيح. إنَّما لاحظ أنَّ «كلَّ شيء» يشمل **الجوع والنُّقصان**. فإنَّ الله سيُلبِّي كلَّ احتياج حقيقيّ، بما في ذلك القدرةُ على الابتهاج وسط المعاناة حين لا تُلبَّى احتياجاتٌ ملموسة كثيرة. إنَّ الله سيُلبِّي كلَّ احتياج حقيقيّ، بما في ذلك الاحتياجُ إلى نعمة الجوع حين لا تُلبَّى الحاجة الملموسة إلى الطعام. حقّاً إنَّ آلام المسيح وموته تضمن أنَّ الله سيُعطينا كلَّ شيء نحتاج إليه لنعملَ بمشيئته ونُعطيَه المجد ونحظى بالفرح الأبديّ.

١٨

لِيَشفِيَنا من المرض الأدبيِّ والجسديِّ

تَأْديبُ سَلاَمنَا عَلَيْه،
وَبِحُبُرِه شُفِينَا.
إشعياء ٥٣: ٥

جَميعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ،
لكَيْ يَتمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِـيِّ الْقَائِل:
«هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا».
متى ٨: ١٦ و١٧

لقد تألَّم المسيح ومات لكي يُباد المرض تماماً ذات يوم. فالمرض والموت لم يكونا جُزءاً من مشروع الله الأصليِّ بالنِّسبة إلى العالم. إنَّهما دخلا مع الخطيَّة كجُزء من دينونة الله للخليقة. إذ يقول الكتاب المقدَّس: «إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ - لَيْسَ

طَوْعاً، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا - عَلَى الرَّجَاءِ» (رومية ٨: ٢٠). فإنَّ الله أخضع العالَم لبُطل الألَم الجسديِّ لإظهار هول الشَّرِّ الأدبيِّ.

هذا البُطل يشمل الموت. «بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ» (رومية ٥: ١٢). وقد شمل ذلك أنينَ المرض كلَّه. فليست الخليقة وحدَها تئنُّ «بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا» (رومية ٨: ٢٣).

غير أنَّ بؤسَ المرض هذا كلَّه وقتيٌّ. فنحن نصبو إلى زمانٍ فيه لا يعود الألَم الجسديُّ موجوداً. إذ إنَّ إخضاع الخليقة للبُطل لم يكن ليدومَ إلى الأبد. فمنذ بداءة حُكم الدينونة الإلهيِّ، يقول الكتاب المقدَّس إنَّ الله استهدف الرَّجاء. إذ كان قصدَه النهائيَّ هو هذا: أنَّ«الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضاً سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ" (رومية ٨: ٢١).

لمَّا جاء المسيح إلى العالم، كان في مَهمَّة لإنجاز هذا الفداء الكونيِّ. وقد أشَّرَ إلى مقاصده بشفائه كثيرين في أثناء حياته على الأرض. إذ كانت مُناسَباتٌ فيها احتشدَت الجموع وهو شفى "جميع المرضى" (متى ٨: ١٦؛ لوقا ٦: ١٩). فكان ذلك لمحةً مسبَّقة عمَّا سوف يحصل عند نهاية التاريخ، حينَ "سَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ" (رؤيا ٢١: ٤).

إنَّ الطريقة التي بها هزم المسيح الموت والمرض كانت بأنْ حملهما هو نفسُه وأخذهما إلى القبر. فدينونة الله على الخطيَّة التي جلبَت المرض قاساها المسيح لما تألَّم ومات. وقد فسَّر النبيُّ إشعياء موت المسيح بهذه الكلمات: "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا» (إشعياء ٥٣: ٥). فالجَلدات الرهيبة على ظهر المسيح، وجراحُه الدائمة الأثَر، اشترَت عالَماً بلا مَرَض.

ذاتَ يوم سوف يُطرَد كلُّ مرض من خليقة الله المُفتداة. فستكون أرضٌ جديدة. وسيكون لنا أجسادٌ جديدة. وستبتلع الحياةُ الأبديَّة الموتَ (١كورنثوس ١٥: ٥٤؛ ٢كورنثوس ٥: ٤). «الذِّئْبُ وَالْحَمَلُ يَرْعَيَانِ مَعاً، وَالأَسَدُ يَأْكُلُ التِّبْنَ كَالْبَقَرِ» (إشعياء ٦٥: ٢٥). وجميع الذين يحبُّون المسيح سوف يُنشِدون تسابيح الحمد **للحَمَل** الذي ذُبِحَ ليُحرِّرنا بالفداء من الخطيَّة والموت والمرض.

١٩

ليُعطيَ كلَّ مَن يؤمن به الحياةَ الأبديَّة

لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ
حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لكَيْ لاَ يَهْلكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمنُ به،
بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.
يوحنا ٣: ١٦

في أسعد أوقاتنا، نحن لا نريد الموت. إنَّما تمنِّي الموت ينشأ فقط حين تبدو الآلام لا تُطاق. وما نريده حقّاً في تلك الأوقات ليس الموت، بل الفرَج والراحة. فمن شأننا أن نتمنَّى عودة الأوقات الهانئة؛ وأن نتمنَّى زوال الألم؛ وأن نتمنَّى رجوع فقيدنا العزيز من القبر. إنَّنا نريد الحياة والسعادة.

نحن نخدع أنفُسَنا عندما نُضفي على الموت فِكرةً رومنطيقيَّة باعتباره ذُروة حياةٍ عِيشَت حسناً. فما الموت إلاَّ عدوٌّ. إنَّه يقطعنا عن جميع المسرَّات الرائعة في هذه الحياة. ونحن نُسمِّي الموت بأسماءٍ عذبة، فقط باعتباره أهوَن الشُّرور. فالجلاَّد الذي يُطلِق «رصاصة الرَّحمة» في مُعاناتنا ليس إتمام الاشتياق، بل نهاية الرجاء. إذ إنَّ اشتياق القلب البشريِّ هو أن يعيش الإنسان وأن يكون سعيداً.

لقد خلقنا الله هكذا. فهو «جعل الأبدية في قلب الإنسان» (جامعة ٣: ١١). ذلك بأنَّنا مخلوقون على صورة الله، والله يحبُّ الحياة ويحيا إلى الأبد. ونحن صُنِعنا لكي نحيا إلى الأبد. ولَسوف نحيا. إنَّما نقيض الحياة الأبديَّة ليس الفَناء، بل هو جهنَّم. وقد تكلَّم المسيح عنها أكثر من أيِّ شخص آخر، وبيَّن بوضوح أنَّ رفض الحياة الأبديَّة التي قدَّمها لن يؤدِّي إلى الزَّوال بل إلى مُكابدة غضب الله: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ» (يوحنا ٣: ٣٦). ثُمَّ يبقى ماكثاً عليه إلى الأبد. فقد قال المسيح: «يَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (متى ٢٥: ٤٦). وهذه حقيقة لا توصَف تُبيِّن الشرَّ اللانهائيَّ في مُعاملة الله بلامُبالاة أو ازدراء. لذلك يُنذِر المسيح قائلاً: «إِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ النَّارِ. حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ» (مرقس ٩: ٤٧ و٤٨).

وهكذا، فإنَّ الحياة الأبديَّة ليست مجرَّد امتداد لهذه الحياة بما يخالطها من ألَم وسرور. فكما أنَّ جهنَّم هي أسوأ نتيجة لهذه الحياة، كذلك «الحياة الأبدية» هي أحسن نتيجة لها. إنَّها سعادةٌ فائقة ومُتزايدة دائماً أبداً، حيث تكون كلُّ خطيَّة وكلُّ حزن قد مضيا. فكلُّ ما هو شرِّيرٌ ومؤذٍ في هذه الخليقة الساقطة سوف يُزال. وكلُّ ما هو خيِّر – كلُّ ما سيجلب السعادة الحقيقيَّة والأبديَّة – سيُصان ويُطهَّر ويُفعَّل.

وسوف نُغيَّر بحيث نكون قادرين على اختبار أبعاد من السعادة لم يكُن ممكناً تصوُّرُها عندنا في هذه الحياة. «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ...أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (١كورنثوس ٢: ٩). والصحيح في كلِّ لحظة من الحياة، الآن ودائماً، أنَّه بالنِّسبة لأُولئك الذين يؤمنون واثقين بالمسيح الأفضلُ آت بَعد. فسوف نرى مجدَ الله الكلِّيَّ الإشباع. «وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يوحنا ١٧: ٣). من أجل هذا تألَّم المسيح ومات. فلماذا لا نتَّخذُه وندَّخره كنزاً وحيداً لنا، فنحيا؟

٢٠

ليُنقِذنا من العالَم الحاضر الشِّرِّير

[المسيح] الَّذي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا،
لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ
حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا.
غلاطية ١: ٤

إلى أن نموت، أو إلى أن يرجع المسيح ويُقيمَ ملكوته، نحن نعيش في الدَّهر «الحاضر الشرِّير». ولذا، فحين يقول الكتاب المقدَّس إنَّ المسيح بذل نفسه «لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ»، لا يعني أنَّه سيُخرِجنا من العالم، بل أنَّه سيُحرِّرنا من سُلطة الشَّرِّ فيه. فقد صلَّى المسيح لأجلنا هكذا: «لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ» (يوحنا ١٧: ١٥).

أمَّا سبب كون المسيح يُصلِّي لأجل الإنقاذ من «الشرِّير» فهو أنَّ الدَّهر «الحاضر الشرِّير» هو الدَّهر الذي فيه أُعطيَ الشيطان الحريَّة كي يُضِلَّ ويُهلِك. إذ يقول الكتاب المقدَّس إنَّ «الْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ» (١يوحنا ٥: ١٩). هذا الشِّرِّير يُدعَى «إله هذا الدَّهر» وهدفُه الرئيسيُّ أن يُعمِيَ الناس عن الحقّ. «إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى

أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ٤: ٤).

فإلى أن نستيقظ فنُدرك حالتنا الروحيَّة المظلمة، نعيشُ تحت سُلطة «العالم الحاضر الشِّرِّير» ورئيسه. «سَلَكْتُمْ... قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ [الشِّرِّير] الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ» (أفسس ٢: ٢). فعلى غير علم منَّا، كُنَّا التابعين الخانعين لإبليس. وما بدا كأنَّه حرِّيَّةٌ كان عبوديَّة. ويتكلَّم الكتاب المقدَّس مُباشرةً إلى صرعات القرن الحادي والعشرين وملاهيه وإدماناته، حين يقول: «وَاعِدِينَ إِيَّاهُمْ بِالْحُرِّيَّةِ، وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ عَبِيدُ الْفَسَادِ. لأَنَّ مَا انْغَلَبَ مِنْهُ أَحَدٌ، فَهُوَ لَهُ مُسْتَعْبَدٌ أَيْضاً» (٢بطرس ٢: ١٩).

إنَّ صرخة الحرِّيَّة المدوِّية في الكتاب المقدَّس هي: «لاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ» (رومية ١٢: ٢). وبعبارة أُخرى: كونوا أحراراً. لا تنخدعوا بمُعلِّمي هذا الدَّهر المعتبرين. فهم هُنا اليوم، ولكنْ غداً لا يكونون. وها هي صرعة مُستعبِدة تلي الأُخرى. فبعد ثلاثين سنة من الآن، لن تكون وشومُ اليوم علامات حرِّيَّة، بل مُذكِّرات لا تُزال بالمشاكلة، أي المشابهة أو المجاورة.

كما أنَّ حكمة هذا الدَّهر جهالةٌ بالنظر إلى الأبديَّة. «لاَ يَخْدَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ. إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِي هذَا الدَّهْرِ، فَلْيَصِرْ جَاهِلاً لِكَيْ يَصِيرَ حَكِيماً! لأَنَّ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللهِ» (١كورنثوس ٣: ١٨ و١٩). «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ» (١كورنثوس ١: ١٨). إذاً، ما هي حكمة الله في هذا العالَم؟ إنَّها موت المسيح المحرِّر العجيب. وقد قال أتْباع المسيح الأوَّلون: «نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوباً... قُوَّةَ اللهِ وَحِكْمَةَ اللهِ» (١كورنثوس ١: ٢٣ و٢٤).

لمَّا ذهب المسيح إلى الصليب، حرَّر ملايين الأسرى. لقد نزَعَ القناع عن احتيال إبليس وكسَرَ شوكته. ذلك هو ما عَناه عشيَّة الصَّلب، لما قال: «اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هذَا الْعَالَمِ خَارِجاً» (يوحنا ١٢: ٣١). فلا تتبعْ عدوّاً مهزوماً، بل اتبع المسيح. إنَّ ذلك غالٍ. إذ إنَّك ستكون غريباً في هذا العالم. ولكنَّك ستكون حُرّاً!

٢١

ليُصالِحَنا مع اللّه

«لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا
مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِه، فَبِالأَوْلَى كَثِيراً وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ
نَخْلُصُ بِحَيَاتِه!
رومية ٥: ١٠

المصالحة التي ينبغي أن تتمَّ بين الإنسان الأثيم والله تجري في اتِّجاهين. فموقفنا تجاه الله يجب أن يتبدَّل من التَّحدِّي إلى الإيمان. وموقف الله نحونا يجب أن يتبدَّل من الغضب إلى الرحمة. ولكنَّ الأمرين ليسا مُتماثِلَين تماماً. فأنا أحتاج إلى معونة الله للتغيير، ولكنَّ الله لا يحتاج إلى معونتي. إذ يجب أن يتمَّ تغييري من خارج ذاتي، أمَّا تغيير الله فينطلق من طبيعته الخاصَّة. وهذا يعني أنَّ الأمر بجُملته ليس تغيُّراً في الله أبداً. إنَّه فِعلُ الله الذاتيُّ الموجَّه للتوقُّف عن كونه ضدِّي والبدء بكونه معي.

والكلمتان المهمَّتان كلّياً هما «وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ». فإذ كُنَّا في هذه الحالة «صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ» (رومية ٥: ١٠). نعم، «وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ». وبعبارة أخرى: كان «التغيير» الأوَّل من الله، لا منَّا. فنحن كنَّا ما نزال أعداء. ليس أنَّنا كنَّا، بوعيٍ منَّا، سالكين سبيل الحرب. فمعظم الناس لا يشعرون بعداوة مُدرَكة نحو الله. إنَّما تتجلَّى العداوة تجلِّياً أدهى بعصيان ولامُبالاة هادئَين. ويصف الكتاب المقدَّس ذلك هكذا: «لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعاً لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضاً لاَ يَسْتَطِيعُ» (رومية ٨: ٧).

بينما كُنَّا ما نزال على هذه الحال، قدَّم الله المسيح كي يحمل خطايانا المضرِمة للغضب الإلهيِّ ويُتيحَ لله أن يُعامِلَنا بالرَّحمة وحدها. فكان أوَّل فعل من الله في مصالحتنا لنفسه أن يرفع العائق الذي جعله لا يُصالِح، ألا وهو ذنْب خطايانا المستحقُّ بالله. «إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ» (٢كورنثوس ٥: ١٩).

وعندما يحمل سُفَراء المسيح هذه الرسالة إلى العالم، يقولون: «نَطْلُبُ [إليكم نيابةً] عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ» (٢كورنثوس ٥: ٢٠). فهل يعنون فقط: غيِّروا موقفكم من الله؟ لا، بل يعنون أيضاً: اقبلوا عمل الله المنجَز في المسيح ليتصالح معكم.

تأمَّل في هذه المشابهة من المصالحة بين الناس. فقد قال المسيح: «فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ» (متَّى ٥: ٢٣ و٢٤). وعندما يقول: «اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ» لاحظ أنَّ الأخ هو مَن يجب أن يرفع إدانته. فالأخ هو الذي يُقال عنه أنَّ له «شَيْئاً عَلَيْكَ»، تماماً كما أنَّ لله شيئاً علينا. وقولُه «اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ» يعني: افعل ما يجب عليك لكي تُرفَع عنك إدانةُ أخيك لك.

ولكنّ حين نسمع بشارة المسيح، نجد أنَّ الله قد سبق أن فعل ذلك: لقد خطا الخطواتِ التي لم يكُن ممكناً أن نخطوَها نحن كي يرفع عنَّا دينونته الإلهيَّة. إنَّه أرسل المسيح ليتألَّم بدلاً منَّا. فالمصالحة الحاسمة تمَّت «ونحن أعداء». وما المصالحة من جانبنا إلاَّ أن نقبل ما قد أنجزه الله فعلاً، كما نقبل هديَّة ثمينة ثمناً فائقاً بلا حدود.

٢٢

ليُقرِّبنا إلى اللّه

فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ

١ بطرس ٣: ١٨

وَلكِنِ الآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً بَعِيدِينَ، صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ.

أفسس ٢: ١٣

إذا أردنا التعبير عن الإنجيل بكلمة مركَّزة، نقول إنَّه هو اللّه. فالكلمة «إنجيل» معناها «بشارة» أو «خبرٌ سارٌّ». والمسيحيَّة ليست أوَّلاً لاهوتيَّات، بل هي بُشرى. كما لو أنَّ أسرى حرب يسمعون بواسطة راديو مُخبّأ أنَّ الحلفاء قد وصلوا وأنَّ الإنقاذ ليس إلاَّ مسألة وقت. أمَّا الحُرَّاس فيتساءلون عن سبب الابتهاج كلِّه.

لكنْ ما هو الخبر الأسمى في البشارة؟ هو أنَّها بجُملتها تؤول إلى نُقطة واحدة، إلى الله نفسه. فجميع كلام الإنجيل يدلُّ عليه، وإلاَّ فليس بشارة. مثلاً، لا يكون الخلاص بشارةً إذا خلَّصنا من جهنَّم فقط ولم يردَّنا إلى الله. ولا يكون الغُفران بشارةً إذا أراحنا من الذَّنْب فقط ولم يفتح لنا الطريق إلى الله. ولا يكون التبرير بشارةً إذا جعلنا مقبولين عند الله شرعيّاً ولم يُحقِّق لنا الشَّركة مع الله [في عِشرة مقدَّسة]. ولا يكون الفِداء بشارةً إذا حرَّرنا من العبوديَّة فقط ولم يأتِ بنا إلى الله. ولا يكون التَّبنِّي بشارةً إذا جعلَنا داخل عائلة الله ولم يجعلنا في أحضانه.

إنَّ هذا ذو أهمِّيَّة حاسمة. إذ يبدو أنَّ كثيرين يتقبَّلون البشارة دون أن يتقبَّلوا الله. وليس من دليل أكيد على أنَّ لنا قلباً جديداً لأنَّنا نريد أن ننجو من جهنَّم. فتلك رغبةٌ طبيعيَّة، لا فائقةٌ للطبيعة. إذ لا يُعوزُنا قلبٌ جديد كي نُريد الراحةَ النفسيَّة الناجمة عن الغُفران، أو رفْعَ غضب الله عنَّا، أو وِرْثَ ملكوتِ الله. فهذه كلُّها يمكن فهمُها دون أيِّ تغيير روحيّ. ولستَ بحاجةٍ إلى الولادة الجديدة التي تُريد هذه الأُمور. فحتَّى الشياطينُ يريدونها.

ليس من الخطإ أن تُريدها. وبالحقيقة أنَّها حماقةٌ ألاَّ تُريدها. غير أنَّ الدَّليل على أنَّنا قد تغيَّرنا هو أنَّنا نُريد هذه الأُمور لأنَّها تأتي بنا إلى رِحاب التمتُّع بحضرة الله. وهذا هو الأمرُ الأعظم الذي من أجله مات المسيح. «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، **لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ**» (١بطرس ٣: ١٨).

ولماذا يُعَدُّ هذا جوهَر البشارة؟ لأنَّنا جُعلنا نختبر سعادةً تامَّة ودائمة من رؤية مجد الله والاستمتاع به. فإذا جاء فرَحُنا الأفضل من أيِّ شيءٍ أقلَّ، نكون عبَدَة أصنام ويُهان الله. إذ إنَّه قد خلقنا بحيثُ يتجلَّى مجدُه من خلال فرحنا به. فإنجيل المسيح

هو البشارة بأنَّ الله، لقاءَ كلفة حياة ابنه الحبيب، قد فعل كلَّ ما هو ضروريٌّ ليُبهِجنَا بما يجعلُنا سُعَداء إلى الأبد وعلى نحوٍ مُتعاظِم، أي بذاته.

قبل مجيء المسيح بزمان طويل، أعلن الله ذاتَه مصدراً للسُّرور التامِّ والدائم: «تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ» (المزمور ١٦: ١١). ثُمَّ أرسل المسيح ليتألَّم «لكي يقرِّبنا إلى الله». وهذا يعني أنَّه أرسل المسيح لكي يأتي بنا إلى الفرح الأعمق والأبقى الذي يمكن أن يكون لكائنٍ بشريّ. فاسمع الدَّعوة: تحوَّلْ عمَّا هو «تَمَتُّعٌ وَقْتِيٌّ بِالْخَطِيَّةِ» (عبرانيين ١١: ٢٥). وتعال إلى السُّرور والنِّعم الباقية «إلى الأبد». تعال إلى المسيح!

٢٣

لنكون خاصَّته

إِذاً يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضاً قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ،
لِكَيْ تَصِيرُوا لآخَرَ،
لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لِنُثْمِرَ للهِ.

رومية ٧: ٤

لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ،
لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ.

١كورنثوس٦: ١٩ و٢٠

لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللهِ
الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ.

أعمال ٢٠: ٢٨

إنَّ السؤال الجوهريَّ ليس «**مَن** أنت؟» بل هو «**لِمَن** أنت؟». لا شكَّ أنَّ كثيرين يعتقدون أنَّهم ليسوا عبيدَ أحد. إنَّهم يحلمون بالاستقلال التامّ... مثلما يشعر بالحرِّيَّة قِنديلُ بحرٍ تجرفُه الأمواج، لأنَّه ليس مُقيَّداً بعبوديَّة البَرَنقيلات العالقة بالصخور.

ولكنَّ المسيح كانت عنده كَلِمة لأشخاص فكَّروا على ذلك النَّحو. فقد قال لهم: «تَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ. ولكنَّهم أَجَابوا: إِنَّنَا... لَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ! كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَاراً؟ أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ!» (يوحنا ٨: ٣٢- ٣٤).

لا يُضفي الكتاب المقدَّس حقيقةً على البشر الساقطين الذين يزعمون أنَّهم أحرار الإرادة. فليس من حُكمٍ ذاتيٍّ مُستقلٍّ في العالم الساقط. ولا بدَّ أن نكون إمَّا خاضعين لسيطرة الخطيَّة وإمَّا خاضعين لسيطرة الله: «أَنْتُمْ عَبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ... لَمَّا كُنْتُمْ عَبِيدَ الْخَطِيَّةِ، كُنْتُمْ أَحْرَاراً مِنَ الْبِرِّ... وَأَمَّا الآنَ [فقد] أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ، وَصِرْتُمْ عَبِيداً لِلّٰهِ» (رومية ٦: ١٦، ٢٠، ٢٢).

معظمَ الوقت، نحن أحرارٌ لكي نفعل ما نريدُ. ولكنَّنا لسنا أحراراً لكي نُريد ما ينبغي. لذلك نحتاج إلى قدرة جديدة مؤسَّسة على شراء إلهيّ. **والقُدرة هي** قُدرة الله. لذا يقول الكتاب المقدَّس: «شُكْراً لِلّٰهِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ عَبِيداً لِلْخَطِيَّةِ، وَلكِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ» (رومية ٦: ١٧). فإنَّ الله هو من يمكن «أَنْ يُعْطِيَهُمُ... تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَيَسْتَفِيقُوا مِنْ فَخِّ إِبْلِيسَ إِذْ قَدِ اقْتَنَصَهُمْ لإِرَادَتِهِ» (٢تيموثاوس ٢: ٢٥ و٢٦).

ثُمَّ إنَّ الشِّراء الذي يُطلقُ عِنانَ هذه القُدرة قد تمَّ بموت المسيح. «لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ» (١كورنثوس ٦: ١٩ و٢٠). وأيَّ ثمن دفع المسيح عن الذين

يتوكَّلون عليه واثقين؟ إنَّه دمُ المسيح، إذِ اقتُنِيَت جماعةُ المؤمنين به «بدمه» (أعمال ٢٠: ٢٨).

فالآن، نحن أحرار حقّاً. لا لكي نحكم أنفُسَنا بأنفُسِنا، بل لكي نريد ما هو صالح. فإنَّ سبيلَ حياةٍ جديداً تماماً ينفتح لنا حين يصير موتُ المسيح هو موتَ ذاتِنا القديمة. ذلك أنَّ العلاقة بالمسيح الحيِّ تُبدِّل السِّيادة والقيادة. وحرِّيَّة الإثمار تحلُّ محلَّ عبوديَّة الناموس. «أَنْتُمْ أَيْضاً قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ، **لِكَيْ تَصِيرُوا لآخَرَ**، لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِنُثْمِرَ لِلّٰهِ» (رومية ٧: ٤).

لقد تألَّم المسيح ومات لكي نُحرَّر من الناموس والخطيَّة، ونكون خاصَّته. ها هُنا لا تعود الطاعة عبئاً ثقيلاً، وتصيرُ حرِّيَّة الإثمار. تذكَّر أنك لستَ مِلكاً لذاتك. فلِمَن ستكون؟ إذا كان للمسيح، فهلُمَّ وانتمِ إليه!

٢٤

ليُعطينا ثقة الدُّخول إلى الأقداس

لَنَا... ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى «الأَقْدَاسِ»

بِدَمِ يَسُوعَ

عبرانيين ١٠: ١٩

تمثَّل أحد أسرار العهد القديم الكُبرى في معنى خيمة العبادة التي استخدمها بنو إسرائيل والتي سُمِّيَت «خيمة الاجتماع». وقد أُلمِعَ إلى ذلك السِّرِّ إلماعاً، إلاَّ أنَّه لم يُوضَح بجلاء. فلمَّا خرج بنو إسرائيل من مصر ووصلوا إلى جبل سيناء، أعطى الله موسى توجيهات مفصَّلة بشأن كيفيَّة إنشاء خيمة العبادة المنقولة هذه بكلِّ أجزائها وأثاثها. وكان الأمر العجيب بشأنها هذه الوصيَّة: «انْظُرْ فَاصْنَعْهَا عَلَى مِثَالِهَا الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ» (خروج ٢٥: ٤٠).

ولما جاء المسيح إلى العالم بعد ١٤٠٠ سنة، تجلَّى على نحوٍ أكمل أنَّ هذا «النموذج» للخيمة القديمة كان «نُسخة» أو «صورة» عن الحقائق التي في السماء. فإنَّ الخيمة كانت رمزاً أرضيّاً إلى حقيقة سماويَّة. وهكذا نقرأ في كتاب العهد الجديد أنَّ الكَهَنة كانوا «يَخْدِمُونَ شِبْهَ السَّمَاوِيَّاتِ وَظِلَّهَا، كَمَا أُوحِيَ إِلَى مُوسَى وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَصْنَعَ الْمَسْكَنَ. لأَنَّهُ قَالَ [الله]: «انْظُرْ أَنْ تَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ الْمِثَالِ الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ»» (عبرانيين ٨: ٥).

وعليه فإنَّ جميع مُمارسات العبادة في العهد القديم تُشيرُ نحو شيءٍ أكثرَ حقيقيَّةً. فكما كان في الخيمة غُرفتان مقدَّستان، حيث كان الكاهن يدخل تكراراً بدم الذبائح الحيوانيَّة التَّعويضيَّة ويُقابِل الله، هكذا تماماً تُوجَد «أقداس» عُليا على نحوٍ لانهائيٍّ في السَّماء – إن صحَّ التَّعبير – حيثُ دخل المسيح بدمه الخاصِّ، لا تكراراً بل مرَّةً وإلى الأبد.

«أَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ... فَبِالْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هذِهِ الْخَلِيقَةِ، وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيّاً» (عبرانيين ٩: ١١ و١٢).

إنَّ مدلولَ هذا الضِّمنيَّ بالنسبة إلينا هو أنَّ الطريق الآن مفتوحٌ لنا كي ندخل مع المسيح إلى جميع أقداس حضرة الله. ففي ما مضى، كان الكَهَنة العبرانيُّون وحدهم يستطيعون أن يدخلوا «شِبهَ» تلك الأقداس و«ظلَّها». وكان رئيس الكَهَنة وحده يستطيع أن يدخل مرَّةً واحدة في السَّنة إلى قُدس الأقداس، حيث يظهر مجد الله (عبرانيين ٩: ٧). وقد وُجِدَت ستارةٌ مانعة تحمي موضِعَ المجد. ويقول لنا الكتاب المقدَّس إنَّه

لما لفظَ المسيح نَفَسَه الأخير على الصليب «وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ» (متَّى ٢٧: ٥١). [وقد كان حجاب الهيكل سِتارةً مُماثِلة لتلك التي فصلت قديماً في خيمة الاجتماع بين القُدس وقُدس الأقداس].

فماذا عنى ذلك؟ التفسير مُقدَّم في هذه الكلمات: «لَنَا... ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى «الأَقْدَاسِ» بِدَمِ يَسُوعَ، طَرِيقاً كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثاً حَيّاً، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ» (عبرانيين ١٠: ١٩ و٢٠). فمن دون المسيح، وجبَ أن تُمنَع قداسةُ الله عنَّا. إذ إنَّ الله كان سيُهان، ونحن كنَّا سنهلك بسبب خطيَّتنا. أمَّا الآن، بفضل المسيح، فلنا أن نتقدَّم ونُمتِّع قلوبنا بملء جمال قداسة الله المتأجِّج المتوهِّج. فإنَّ الله لن يُهان، ونحنُ لن نهلك، بل بفضل المسيح الكلِّيِّ الحماية سيُكرَم الله وسنقف نحن في رهبة دائمة. لذلك، لا تخف أن تتقدَّم، بل تقدَّم عبْرَ المسيح.

٢٥

ليصيرَ هو لنا المكانَ الذي فيه نقابل اللّه

أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». فَقَالَ الْيَهُودُ:
«فِي ستٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هذَا الْهَيْكَلُ،
أَفَأَنْتَ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟»
وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِه.
يوحنا ٢: ١٩- ٢١

«اقتُلوني، فأصيرَ مكانَ التقابُلِ الكونيَّ مع اللّه.» على هذا النَّحو أُعبِّر عن يوحنا ٢: ١٩- ٢١. لقد ظنُّوا أنَّ المسيح كان يُشير إلى الهيكل المركزيِّ في مدينة القُدس إذ قال: «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ.» أمَّا هو فكان يقصد جسَدَه الخاصَّ.

لماذا أقام المسيح الترابُط بين هيكل العبادة وجسَدِه الخاصِّ؟ لأنَّه جاء ليحلَّ محلَّ الهيكل باعتباره مكان التقابُل مع الله. فبمجيء ابن الله في جسمٍ بشريٍّ، كان لا بدَّ للطُّقوس والعبادة أن تخضع كلُّها لتغيير جذريّ. إذ إنَّ المسيح نفسَه قد صار هو حمَلَ الفِصح النهائيَّ، والكاهنَ الأعلى النهائيَّ، والهيكلَ النِّهائيَّ. فهذه كلُّها مضت، وهو وحدَه يبقى.

وما بقيَ لا بُدَّ أن يكون أفضل إلى ما لانهاية. فإذ أشار المسيح إلى نفسه، قال: «أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هٰهُنَا أَعْظَمَ مِنَ الْهَيْكَلِ!» (متَّى ١٢: ٦). لقد أصبح الهيكل مسكن الله في أوقاتٍ نادرة، لمَّا ملأ مجدُ الربِّ القُدس. أمَّا عن المسيح، فالكتاب المقدَّس يقول إنَّه في المسيح "يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيّاً" (كولوسي ٢: ٩). إنَّ حضرة الله لا تأتي على المسيح ثُمَّ تمضي. فهو الله. وحيثُ نُقابِلُه، نُقابِل الله.

لقد قابل الله الشَّعب في الهيكل بواسطة وُسَطاء بشريِّين كثيرين ناقصين. أمَّا الآن، فقد قيل عن المسيح إنَّه يوجد «وَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (١تيموثاوس ٢: ٥). فإن أردنا أن نُقابِلَ الله في العبادة، فهُنالك مكان واحد يجب أن نذهب إليه: إلى يسوع المسيح. إنَّ المسيحيَّة ليس فيها مركزٌ جُغرافيٌّ كبعض الدِّيانات الأُخرى.

لمَّا واجه المسيح مرَّةً امرأةً بزناها، غيَّرَت الموضوع وسألَت: «آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ». فلحق بها المسيح عند المنعطَف، إذ قال: «يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ [فيها]، لاَ فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ." ليست الجغرافيا هي المسألة. فما هي إذاً؟

لقد أردف المسيح قائلاً: «تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ» (يوحنَّا ٤: ٢٠- ٢٣).

إنَّ المسيح يُغيِّر التصنيفات بجُملتها. لا في هذا **الجبل** ولا في تلك **المدينة**، بل **بالرُّوح وبالحق**. لقد جاء إلى العالم لكي ينسف الحدود الجغرافيَّة. فلا هيكلَ الآن. وليست أُورشليم هي المركز، بل المسيح هو المركز. فهل نُريد أن نُعاين اللّٰه؟ يقول المسيح: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يوحنا ١٤: ٩). وهل نُريد أن نقبل اللّٰه؟ يقول المسيح: «مَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (متَّى ١٠: ٤٠). وهل نُريد أن نَنعم بحضرة اللّٰه في العبادة؟ يقول المسيح: «مَنْ يَعْتَرِفُ بِالابْنِ فَلَهُ الآبُ أَيْضاً» (١يوحنا ٢: ٢٣). وهل نُريد أن نُكرِم الآب؟ يقول المسيح: «مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ» (يوحنَّا ٥: ٢٣).

لمَّا مات المسيح ثُمَّ قام حيّاً، أُحِلَّ محلَّ الهيكل القديم المسيحُ الذي يُمكِنُ الوصول إليه في أيِّ مكان من الكُرَة الأرضيَّة. ففي وسعك أن تأتيَ إليه دون أن تُحرِّك ساكناً. إنَّه قريبٌ قُربَ الإيمان.

٢٦

ليُنهيَ كهنوت العهد القديم
ويصيرَ هو رئيسَ الكهنة الأبديَّ

أُولئكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثيرينَ من أَجلِ مَنْعهمْ بالْمَوْت عَنِ الْبَقَاء،
وَأَمَّا هذَا فمنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبَد، لَهُ كَهَنُوتٌ لاَ يَزُولُ.
فَمنْ ثَمَّ يَقْدرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضاً إِلَى التَّمَامِ الَّذينَ يَتَقَدَّمُونَ به إِلَى الله،
إِذْ هُوَ حَيٌّ في كُلِّ حينٍ ليَشْفَعَ فيهِمْ...الَّذي لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ كُلَّ يَوْمٍ
مثْلُ رُؤَسَاء الْكَهَنَة أَنْ يُقَدِّمَ ذَبائحَ أَوَّلاً عَنْ خَطَايَا نَفْسه
ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْب، لأَنَّهُ فَعَلَ هذَا مَرَّةً وَاحدَةً،
إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ.

عبرانيين ٧: ٢٣- ٢٧

لأَنَّ الْمَسيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ... بَلْ إِلَى السَّمَاء عَيْنهَا، ليَظْهَرَ
الآنَ أَمَامَ وَجْه الله لأَجْلنَا. وَلاَ ليُقَدِّمَ نَفْسَهُ

مِرَاراً كَثِيرَةً، كَمَا يَدْخُلُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ إِلَى الأَقْدَاسِ كُلَّ سَنَةٍ
بِدَمٍ آخَرَ. فَإِذْ ذَاكَ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّمَ
مِرَاراً كَثِيرَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلكِنَّهُ الآنَ
قَدْ أُظْهِرَ مَرَّةً عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّهُورِ لِيُبْطِلَ الْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ.

عبرانيين ٩: ٢٤- ٢٦

وَكُلُّ كَاهِنٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ
وَيُقَدِّمُ مِرَاراً كَثِيرَةً تِلْكَ الذَّبَائِحَ عَيْنَهَا،
الَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ الْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ الْخَطِيَّةَ.
وَأَمَّا هذَا فَبَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً،
جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ

عبرانيين ١٠: ١١ و١٢

أحدُ أعظم التعابير عن الحقِّ المسيحيِّ هو «مرَّةً واحدة». وهو ترجمة لكلمة يونانيَّة واحدة (إيفاپاكس) تعني «مرَّةً وإلى الأبد». ويدلُّ على أنَّ أمراً حدث كان حاسماً. فإنَّ الفعل أُنجِزَ إنجازاً تامّاً بحيث لا تدعو الحاجة أبداً إلى تكراره. وأيُّ مجهود لإعادته ينزع التصديق عن الإنجاز الذي حصل «مرَّةً وإلى الأبد».

كان واقعاً كئيباً سنةً بعد سنة أنَّ الكَهَنة العبرانيِّين مُضطرُّون إلى تقديم الذبائح الحيوانيَّة التَّعويضيَّة من أجل خطاياهم وخطايا الشَّعب. لا أعني أنَّه لم تحصل مغفرة. فقد رتَّب الله تلك الذبائح لأجل إراحة شعبه القديم. إذْ كانوا يُخطئون ويحتاجون إلى بديل يحمل قِصاصَهم. فكانت رحمةً من الله أنَّه قبِلَ خدمة كَهَنة خاطئين وحيوانات بديليَّة.

ولكنْ كان في ذلك جانبٌ مُظلِم. إذ وجَبَ أن يُعمَل مِراراً وتكراراً. فالكتاب المقدَّس يقول إنَّ تلك الذبائح فيها «كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا» (عبرانيين ١٠: ٣). وقد علِمَ الشعب أنَّهم كُلَّما وضعوا أيديَهم على رأس ثَورٍ لنقل خطاياهم إلى ذلك الحيوان سيُضطرُّون إلى القيام بذلك كلِّه مرَّةً أُخرى. فما من حيوانٍ يكفي لأنْ يتألَّم عن خطايا بَشَر. وكان على الكَهَنة الخاطئين أن يُقدِّموا ذبائح تعويضاً عن خطاياهم الخاصَّة. كما كان واجباً أن يحلَّ آخرون محلَّ الكهنة المائتين. ولم تكُن للثِّيران والمواعِز أيَّةُ حياة أدبيَّة، ولا كان مُمكِناً أن تحمل ذنْب الإنسان فعلاً. «لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا» (عبرانيين ١٠: ٤).

ولكنْ طوَّقَت حاشيةٌ فِضِّيَّة غَمامةَ النَّقص الكهنوتيِّ هذه. فإذا أكرم الله هذه الأشياء غير الوافية، فلا بُدَّ أن يعني ذلك أنَّه ذاتَ يوم سيُرسِل خادماً مؤهَّلاً لإتمام ما عجز هؤلاء الكهنة عن إنجازه: أن ينزِع الخطيَّة مرَّةً وإلى الأبد.

وما ذلك إلاّ يسوع المسيح. فقد صار هو الكاهن النهائيُّ والذبيحة التَّعويضيَّة النهائيَّة. إنَّه **بلا خطيَّة**، فلم يُقدِّم ذبائح عن نفسه. وهو **غيرُ مائت**، فلم يكُن قطُّ واجباً أن يُخلِفَه آخر. وهو **إنسان**، فكان في وسعه أن يحمل خطايا الناس. ولذلك لم يُقدِّم ذبائحَ عن نفسه، بل قدَّم نفسه ذبيحةً نهائيَّة. فلن تدعوَ الحاجةُ أبداً إلى ذبيحة أُخرى. إنَّ بيننا وبين الله وسيطاً واحِداً، كاهناً واحداً. ولسنا بحاجة إلى آخر أبداً. حقّاً، ما أسعدَ أُولئك الذين يتقدَّمون إلى الله بواسطة المسيح وحدَه!

٢٧

ليصيرَ كاهناً رحيماً ومُعيناً

لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئيسُ كَهَنَة غَيْرُ قَادرٍ أَنْ يَرْثيَ
لضَعَفَاتنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ في كُلِّ شَيْءٍ
مثْلُنَا، بِلاَ خَطيَّة. فَلْنَتَقَدَّمْ بثقَة
إِلَى عَرْشِ النِّعْمَة لكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً
وَنَجدَ نعْمَةً عَوْناً في حينه.

عبرانيين٤: ١٥ و١٦

لقد أصبح المسيح كاهنَنا بذبيحة نفسه على الصليب (عبرانيين ٩: ٢٦). إنَّه وسيطُنا عند الله. فقد كانت طاعته وآلامه كاملةً تماماً بحيثُ لن يردَّه الله أبداً. ولذلك، فإنْ تقدَّمنا إلى الله بواسطته، فلَن يردَّنا الله خائبين نحن أيضاً.

ولكنَّ الأمر يصيرُ أفضلَ بَعد. فعلى الطريق إلى الصليب، طوال ثلاثين سنة، جُرِّب المسيح كما يُجرَّب كلُّ كائن بشريّ. صحيحٌ أنَّه لم يُخطئ قطُّ. ولكنَّ أُناساً حُكَماء بيَّنوا أنَّ تجارِبَه كانت أقوى من تجاربنا، لا أضعفَ منها. فإن استسلم شخصٌ للتجربة، فهي لا تبلغ أبداً هجومَها الأكمل والأطول. ونحن نستسلم فيما الضغط ما يزال يشتدُّ. أمَّا المسيح فلم يستسلم قطُّ. وهكذا احتمل الضغط الكامل إلى النهاية، ولم يكفَّ قطُّ عن المقاومة. فهو يعلم ما معنى أن يُجرَّب المرء بالقوَّة القُصوى.

إنَّ عُمراً من التَّجارب، توَّجَهُ ظُلمٌ وعنف وتَخَلٍّ مُذهلة، أعطت المسيح قُدرةً لا مثيلَ لها على التعاطُف مع المجرَّبين والمتألِّمين. فما تألَّم أحدٌ قطُّ أكثر من ذلك. ولا قاسى أحدٌ عُنفاً وظُلماً أشدَّ. ولا أحدَ على الإطلاق استحقَّ أقلَّ منه، أو كان له حقٌّ أكبرُ بأن يُقاوِم لردِّ الأذى. ولكنَّ الرسول بطرس قال عنه: «لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ...إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضاً، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْل [أي لله]» (١بطرس ٢: ٢٢ و٢٣).

من ثَمَّ يقول الكتاب المقدَّس إنَّ المسيح قادرٌ «أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا» (عبرانيين ٥: ١٥). وهذا مُذهِل. إنَّ ابن الله المقام حيّاً من بين الأموات والجالسَ عن يمين الله، والذي له كلُّ سُلطان على الكون، يشعر بما نشعر نحن به عندما نتقدَّم إليه مُعانينَ الحُزنَ أو الألم، أو قلقين حيالَ وعود اللَّذَّة الأثيمة.

أيَّ فَرقٍ يُحدِث هذا؟ يُجيب الكتاب المقدَّس بإقامة ترابُط بين عطف المسيح وثقتنا في الصَّلاة. فهو يقول إنَّه بما أنَّ المسيح قادرٌ «أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا... [لذلك] فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْناً فِي حِينِهِ» (عبرانيين ٤: ١٥ و١٦).

من الواضح أنَّ الفكرة تجري على هذا النَّحو: يُرجَّح أن نشعر بأنَّه غيرُ مُرحَّب بنا في حضرة الله إذا تقدَّمنا بصراعاتنا. إذ نشعر بطهارة الله وكماله شعوراً حادّاً

جدّاً بحيث يبدو كلُّ ما يمتُّ إلينا بِصلَة غيرَ لائقٍ بحضرته. ولكنّ لا نلبث أن نتذكَّر أنَّ المسيح «يَرثي» لنا. إنَّه يُحِسُّ **معنا**، **لا ضدَّنا**. وهذا الوعيُ لِحُنوِّ المسيح يُشجِّعنا على التقدُّم. فهو يعرف صُراخَنا. وقد ذاقَ صِراعَنا. وهو يُناشِدنا أن نتقدَّم بثقة حين نشعر بحاجتنا. إذاً، لنتذكَّر ترنيمة جان نيوتُن القديمة:

إلى مَلِكٍ عظيمٍ أنت تَقدَمْ،
فبِطَلباتٍ عظيمةٍ تقدَّمْ.
فليست طِلبةُ أحدٍ ما أعظَمْ
من أن تُلبِّيَها نِعمتُهُ
أو أن تقوى عليها قدرتُهُ!

٢٨

ليحررنا من عبودية الخطية

عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ
لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ،
مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ،
بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ.

١ بطرس ١: ١٨ و١٩

إنَّ مُعظم الناس، سواءٌ في المجتمعات العصريَّة العَلمانيَّة أم بين القبائل البدائيَّة المؤمنة بالأرواح، يجمعُهم هذا الأمر المشترك: أنّهم يؤمنون بالاستِعباد للأجداد. وهُم يدعونه بأسماءٍ شتَّى. فقد يتحدَّث الأقوام الأرواحيُّون بلُغةِ أرواح الأسلاف وانتقال اللَّعنات. وقد يتحدَّث العَلمانيُّون عن التأثير الوِراثيِّ أو عنِ الجِراح التي يتسبَّب بها أبوان مُتعسِّفان مُتواكِلان، نائيان عاطفيّاً. إنَّما يسود في كِلتا الحالَتين شعورٌ بالجَبَريَّة

القائلة بأنَّنا مُلزَمون أن نعيش حاملين اللَّعنة أو الجِراح من سُلالتنا، حيث يبدو المستقبل عقيماً وخالياً من السَّعادة.

عندما يقول الكتاب المقدَّس: «افْتُدِيتُمْ... مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ»، يُشير إلى نمط حياة عقيم، عديم المعنى، غير نافع. وهو يقول إنَّ هذه **السِّيرة الباطلة** مُرتبِطة بالأسلاف. إنَّما لا يقول كيف ذلك. إنَّما النُّقطة الحاسمة هي أن نُلاحِظ كيف حُرِّرنا من عبوديَّة هذا العُقم. فإنَّ قدرة المحرِّر تُحدِّد مدى التحرير.

إنَّ التحرير من عبوديَّة الأسلاف تمَّ «لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ.» فالفضَّة والذَّهب يُمثِّلان أثمن الأشياء التي كان ممكناً أن تُدفع من أجل فدائنا. ولكنَّنا جميعاً نعلم أنَّهما عديما القيمة. فأغنى الناس غالباً ما يكونون الأكثر استِعباداً للعُقم والبُطل. فرُبَّ رئيسِ قبيلة غنيٍّ قد يُعذِّبه الخوفُ من رُقيةِ أسلاف على حياته. ورُبَّ رئيسٍ عَلمانيٍّ لشركة ناجحة قد تدفعُه قِوَى لاواعيةٌ من مُحيطه تُدمِّر زواجَه وأولاده.

حقّاً إنَّ الفضَّة والذَّهب عاجزان عن الإعانة. إنَّما آلام المسيح وموتُه توفِّر ما هو مطلوب: لا الذهب ولا الفضَّة، بل **دم المسيح**، ذلك الدم الكريم الذي سُفِكَ «كَمَا مِنْ حَمَل بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ». فلمَّا مات المسيح، كانت عينُ الله على العلاقة بيننا وبين أسلافنا. إذ قصد أن يحرِّرنا من العُقم الذي ورِثناه منهم. وذلك سببٌ من الأسباب العظيمة التي من أجلها مات المسيح.

ما من لعنة يمكن أن تقوم ضدَّك، إذا كانت خطاياك كلُّها مغفورة وكُنتَ لابِساً بِرَّ المسيح، وكُنتَ مَفديّاً ومحبوباً من قِبَل خالق الكون. فإنَّ آلام المسيح وموته هي السَّبب النهائيُّ الذي من أجله يقول الكتاب المقدَّس عن شعب الله إنَّه ليس عليهم «عِيَافَةٌ... وَلاَ عِرَافَةٌ» (عدد ٢٣: ٢٣)، أي لا تقوم ضدَّهم رُقيةُ سِحرٍ أو لعنة. فلمَّا مات المسيح، اقتُنِيَت جميعُ بركات السَّماء لأُولئك الذين يتوكَّلون عليه واثقين. وحين يُبارِك الله، لا يستطيع أحد أن يلعن.

ولا يوجد أيضاً أيُّ جُرحٍ سبَّبه أبٌ أو أُمٌّ خارجَ نطاق شفاء المسيح. فإنَّ ثمن الفداء الشَّافي، دمَ المسيح، موصوفٌ بالصِّفة «كريم». وهذه الكلمة تعبِّر عن قيمة لانهائيَّة. فالفِدية إذاً مُحرِّرةٌ بلا حدود ولا قيود. وما من عبودية يمكن أن تصمد ضدَّها. فلنتحوَّلْ إذاً عن الفِضَّة والذَّهب، ونقبل هديَّة الله.

٢٩

ليُحرِّرنا من عُقمِ سُلالتِنا

الَّذي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا منْ خَطَايَانَا بدَمه،
وَجَعَلَنَا مُلُوكاً وَكَهَنَةً لله أَبيه،
لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَد الآبدينَ. آمينَ.

رؤيا ١: ٥ و٦

يَسُوعُ أَيْضاً، لكَيْ يُقَدِّسَ الشَّعْبَ بدَم نَفْسه،
تَأَلَّمَ خَارجَ الْبَاب.

عبرانيين ١٣: ١٢

إنَّ خطيَّتنا تدمِّرنا بطريقتين. فهي تجعلنا مُذنبين أمام الله، الأمرُ الذي يضعُنا تحت دينونته العادلة. كما أنَّها تجعلُنا قِباحاً في سلوكنا، بحيثُ نُشوِّه صورة الله التي

قُصِدَ لنا أن نعرضها. إنَّها تحكمُ علينا بالدَّينونة من أجل ذنْبنا، وهي تجعلنا عبيداً لعدم المحبوبيَّة.

غير أنَّ دم المسيح يُحرِّرنا من كِلتا هاتين التَّعاستَين. فهو يفي بحقوق برِّ الله، بحيث يمكن أن تُغفَر خطايانا على نحوٍ عادل. وهو يقهر قوَّة الخطيَّة التي تستعبِدُنا لعدم المحبوبيَّة. وقد سبق أن رأينا كيف يتلقَّى المسيح كامِلَ غضَبِ الله ويرفع عنَّا ذنْبَنا. أمَّا الآن، فكيف يُحرِّرنا دم المسيح من عبوديَّة الخطيَّة؟

ليس الجواب أنَّه قُدوةٌ فعَّالة لنا وأنَّه يُلهِمُنا أن نُحرِّر أنفُسَنا من الأنانيَّة. صحيحٌ أن المسيح هو قُدوتُنا. ويا لها من قُدوة فعَّالة جدّاً! فقد قصد لنا بوضوح أن نقتديَ به: «وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضاً بَعْضُكُمْ بَعْضاً». (يوحنا ١٣: ٣٤). ولكنَّ الدَّعوة إلى الاقتداء ليست هي القُدرةَ على التحرير، بل يوجد شيءٌ أعمق.

ذلك أنَّ الخطيَّة لها نُفوذٌ قويٌّ جدّاً في حياتنا بحيثُ يجب أن تُحرِّرَنا قُدرةُ الله، لا قوَّةُ الإرادة. ولكن بما أنَّنا خُطاة، ينبغي أن نسأل: أإلى تحريرنا قُوَّةُ الله مُوجَّهة أم إلى إدانتنا؟ وها هُنا تتدخَّل آلام المسيح. فلمَّا مات المسيح على الصليب ليرفع عنَّا حُكمَ الدَّينونة فتح صِمامَ رحمة السماء الجبَّارة، إذا جاز التعبير، لكي تتدفَّق لأجل تحريرنا من سُلطة الخطيَّة.

وبعبارة أُخرى، فإنَّ الإنقاذ من ذنْب الخطيَّة وغضب الله وجَبَ أن يسبق الإنقاذ من **سُلطة** الخطيَّة برحمة الله. والكلمتان الحاسمتان اللتان يستخدمهما الكتاب المقدَّس للتعبير عن هذا هُما: **التَّبرير** الذي يسبق ويضمن **التقديس**. وهاتان الكلمتان مُختلِفتا المدلول. فالأولى إعلانٌ فوريٌّ (غيرُ مُذنِب!). والثانية تغيير مستمرٌّ.

فالآن، بالنِّسبة إلى الواثقين بالمسيح، ليست قُدرةُ الله في خدمة غضبه الجالب للدَّينونة، بل في خدمة رحمته المحرِّرة. ويُعطينا الله هذه القُدرة على التغيير من خلال

شخص روحه القدُّوس. ولذلك فإنَّ جمالَ ما يُحدَّد بأنَّه «مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ،» يُقال عنه إنَّه «ثمر الرُّوح». (غلاطية ٥: ٢٢ و٢٣). ولهذا السَّبب يستطيع الكتاب المقدَّس أن يُقدِّم هذا الوعد المدهش: «فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ» (رومية ٦: ١٤). فأن يكون المرء «تحت النِّعمة» أمرٌ يؤمِّن قدرة الله لتبديد عدم محبوبيَّتنا (لا دُفعةً واحدة، بل شيئاً فشيئاً). ونحن لسنا خاملين في دحر أنانيَّتنا، غير أنَّنا أيضاً لا نستطيع أن نوفِّر القدرة الحاسمة، بل نعمةُ الله هي التي تفعل ذلك. من هُنا قال الرسول العظيم بولس: «تَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ. وَلكِنْ لاَ أَنَا، بَلْ نِعْمَةُ اللهِ الَّتِي مَعِي» (١كورنثوس ١٥: ١٠). فعسى أن تُحرِّرنا نعمةُ الله – بالإيمان بالمسيح – من كِلا ذنْب الخطيَّة وعبوديَّتها!

٣٠

لنموتَ بالنِّسبة إلى الخطيَّة ونحيا لأجل البِرِّ

الَّذي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِه عَلَى الْخَشَبَة،
لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ.

١ بطرس ٢: ٢٤

مهما بدا الأمر غريباً، فإنَّ موت المسيح بدَلاً منَّا ومن أجل خطايانا يعني أنَّنا **نحن** مُتنا. قد تعتقد أنَّ موت بديلٍ عِوَضاً عنك لا بُدَّ أن يعني أنَّك تنجو من الموت. ولا شكَّ أنَّنا ننجو فعلاً من الموت: الموتِ **الأبديِّ** حيثُ لا نهاية للشَّقاء والانفصال عن الله. فقد قال المسيح عن خِرافه، أي المؤمنين به: «أَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، **وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ**» (يوحنا ١٠: ٢٨). وقال أيضاً: «كُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي **فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ**» (يوحنا

١١: ٢٦). فموت المسيح يعني **فعلاً** أنَّه **لن** «**يَهْلِكَ** كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يوحنا ٣: ١٦).

ولكنَّ هنالك معنًى آخر به نموت تحديداً لأنَّ المسيح مات بدلاً منَّا ومن أجل خطايانا. «حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ...» (١بطرس ٢: ٢٤). لقد مات لكي نحيا، ومات لكي نموت. فلمَّا مات المسيح، متُّ – أنا المؤمن بالمسيح– معه. والكتاب المقدَّس يقول بوضوح: «قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ» (رومية ٦: ٥). «إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ، فَالْجَمِيعُ إِذاً مَاتُوا» (٢كورنثوس ٥: ١٤).

إنَّ الإيمان هو الدَّليل على الاتِّحاد بالمسيح على هذا النَّحو العميق. ففي وسع كل مؤمن أن يقول: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ" (غلاطية ٢: ٢٠). وإذ نعود بأنظارنا إلى موته، نعلَم أنَّنا ـ في فكر الله ـ كُنَّا هناك. فإنَّ خطايانا كانت عليه، والموتُ الذي نستحقُّه كان حاصلاً لنا فيه. والمعموديَّة تُصوِّر هذا الموت. «دُفِنَّا مَعَهُ **بِالْمَعْمُودِيَّةِ** لِلْمَوْتِ» (رومية ٦: ٤). فالماء يُشبه قبراً، والغَطسُ تحته صورة للموت. أمَّا النُّهوض منه فصورة للحياة الجديدة. وهذا كلُّه صورة لما الله فاعِلُه «بالإيمان». «مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ **بِإِيمَانِ** عَمَلِ اللهِ» (كولوسي ٢: ١٢).

إنَّ حقيقة كوني قد متُّ مع المسيح مُترابِطةٌ مُباشرةً مع موته من أجل خطيَّتي. «**حَمَلَ** هو نفسه **خطايانا... لكي نموت**.» وهذا يعني أنَّني حين أقبل المسيح بصفته مُخلِّصي، أقبلُ موتي شخصيّاً بصفتي خاطئاً. فإنَّ خطيَّتي أدخَلت المسيح إلى القبر، وأدخلَتني إلى هُناك معه. والإيمان ينظر إلى الخطيَّة باعتبارها قاتلة: إذ قتلَت المسيح، وقتلَتني أيضاً.

ولذلك تعني صيرورة المرء مؤمناً بالمسيح الموتَ للخطيَّة. فالذات القديمة التي تحبُّ الخطيَّة ماتت مع المسيح. والخطيَّة تُشبِه فاجرةً لم تعُد تبدو جميلة. إنَّها قاتلةٌ مليكي وقاتِلَتي. ومن ثمَّ فإنَّ المؤمن ميِّت بالنسبة إلى الخطيَّة، لم تعُد تُسيطِر عليه بجواذبها. فلا جاذبيَّةَ بعدُ للخطيَّة، للفاجرة التي قتلَت صديقي. إنَّها أصبحت عدوَّة.

وها هي حياتي الجديدة الآن تحت حُكم البِرّ. «حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ ... **نَحْيَا لِلْبِرِّ**» (١بطرس ٢: ٢٤). إنَّ جمال المسيح، الذي أحبَّني وبذل نفسه عِوَضاً عنِّي، هو مُنيةُ نفسي. وجمالُه هو برٌّ كامل. فالوصيَّة التي أُحِبُّ الآن أن أُطيعَها (وأدعوكم إلى الاشتراك معي في هذا الأمر) هي هذه: «قَدِّمُوا ذَوَاتِكُمْ لِلّٰهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْضَاءَكُمْ آلاَتِ بِرٍّ لِلّٰهِ» (رومية ٦: ١٣).

٣١

لنموتَ بالنسبة إلى الناموس ونصيرَ مُثمِرين لأجل اللّه

أَنْتُمْ أَيْضاً قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ،
لِكَيْ تَصِيرُوا لآخَرَ، لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ،
لِنُثْمِرَ للهِ.
رومية ٧: ٤

لمَّا مات المسيح من أجلنا، مُتنا معه. فقد نظر الله إلينا، نحن المؤمنين بالمسيح، باعتبارنا مُتَّحدين معه. وكان موتُه من أجل خطايانا موتَنا فيه. (راجع الفصل السابق.) غير أنَّ الخطيَّة لم تكُن الحقيقةَ الوحيدة التي قتلَت المسيح وإيَّانا. فهكذا فعَلَ ناموسُ الله. فحين نخرق الشريعة بالإخطاء، تحكم علينا الشريعة بالموت. ولو لم تكُن الشريعة موجودة، لما كان عِقاب. «إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضاً تَعَدٍّ» (رومية ٤:

١٥). ولكنَّ «كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ [تحت] النَّامُوسِ، لِكَيْ... يَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ» (رومية ٣: ١٩).

ما كانت تُوجد نجاةٌ من لعنة الناموس. فهو كان عادلاً؛ ونحن كنَّا مذنبين. ولم يكن إلاَّ سبيلٌ واحد فقط لإطلاقنا أحراراً: يجبُ أن يؤدِّيَ شخصٌ ما العُقوبة عنَّا. من أجل ذلك جاء المسيح: «اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا» (غلاطية ٣: ١٣).

لذلك لا يمكن أن تديننا شريعةُ الله إذا كنَّا في المسيح. فإنَّ قُدرتها على السيادة علينا انكسَرَت مُضاعَفةً. فمن جِهَة، أتمَّ المسيح عنَّا مطالبَ الشريعة. وإطاعتُه التامَّة للشَّريعة تُحسَب لنا نحن (راجِع الفصل ١١). ومن جهة أخرى، دُفِعَت عقوبة الشريعة بدم المسيح.

لهذا السبب يُعلِّم الكتاب المقدَّس بكُلِّ وضوح أنَّ حيازةَ وَضع سليم أمام الله ليست مؤسسةً على إطاعة الشريعة. «بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ» (رومية ٣: ٢٠). إنَّ «الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ،» أي بواسطة الإيمان بالمسيح (غلاطية ٢: ١٦). فلا رجاءَ في إصلاح وضعِنا أمام الله بإطاعة الناموس. إنَّما الرجاء الوحيد هو دَمُ المسيح وبِرُّه الذي يصير لنا بالإيمان. «إِذاً نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ [بمعزل عن] أَعْمَالِ النَّامُوسِ» (رومية ٣: ٢٨).

فكيف نُرضي الله إذاً، إذا كُنَّا أمواتاً بالنِّسبة إلى ناموسه الذي لم يعُد سيِّدَنا؟ أليس الناموسُ هو التعبيرَ عن مشيئة الله الصالحة والمقدَّسة (رومية ٧: ١٢)؟ إنَّ جواب الكتاب المقدَّس هو أنَّنا بدلاً من الانتماء إلى الناموس الذي يُطالِب ويَدين، بِتنا الآن مُنتمين إلى المسيح الذي يُطالِب ويُعطي. فسابقاً، كان البِرُّ مطلوباً من الخارج في حروفٍ مكتوبة على حَجَر. أمَّا الآن فالبِرُّ ينبع من داخلنا كاشتياقٍ في علاقتنا بالمسيح.

فالمسيح حاضِرٌ وحقيقيٌّ. وبروحه يُعيننا في ضعفنا. إنَّ شخصاً حيّاً حلَّ محلَّ لائحة مُهلِكة: "لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ [القُدُس] يُحْيِي" (٢كورنثوس ٣: ٦). (راجع الفصل ١٤.)

لهذا يقول الكتاب المقدَّس إنَّ سبيلَ الطاعة الجديدَ هو **الإثمار**، لا إطاعةُ الناموس، أو الشريعة. «أَنْتُمْ... قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ، لِكَيْ تَصِيرُوا لآخَرَ، لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ **لِنُثْمِرَ للهِ**.» (رومية ٧: ٤). لقد مُتنا بالنِّسبة إلى إطاعة الناموس لكي نحيا بالنِّسبة إلى الإثمار. إنَّ الثمر ينمو بصورة طبيعيَّة على شجرةٍ ما. فإذا كانت الشَّجرة جيِّدة، فسيكون الثَّمر جيِّداً. والشجرة، في هذه الحالة، هي علاقةٌ محبَّةٍ حيَّةٌ بيسوع المسيح. فمن أجل هذا مات المسيح. وهو الآن يُناشِدُنا أنْ «ثِقوا بي! مُوتوا بالنِّسبة إلى الناموس، لكي تُثمِروا ثَمر المحبَّة.

٣٢

ليُمكِّننا من أن نعيش للمسيح لا لأنفُسنا

هُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِي ما بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ.

٢كورنثوس ٥: ١٥

يُحيِّر كثيرين أنَّ المسيح مات ليُمجِّد المسيح. فإذا استخرجنا عُصارةَ الآية في ٢كورنثوس ٥: ١٥، يقول جوهرُها إنَّ المسيح مات لأجلنا لكي نعيش لأجله. وبعبارة أُخرى: إنَّه مات لأجلنا لكي نُعظِّمَهُ أعظمَ تعظيم. فبصريح العبارة أنَّ المسيح مات لأجل المسيح.

والآن، هذا كلام صريح. فهو ليس تعبيراً مجازيّاً. فجوهر الخطيَّة هو أنَّنا أخفقنا في تمجيد الله، الأمر الذي يشمل إخفاقنا في تمجيد ابنه الحبيب (رومية ٣: ٢٣). ولكنَّ المسيح مات لكي يحمل تلك الخطيَّة ويُحرِّرنا منها. فهو إذاً مات لكي يحمل العار الذي كوَّمناه عليه بخطيَّتنا. لقد مات لكي ينقُضَ هذا. إنَّ المسيح مات لأجل مجد المسيح.

أمَّا سببُ تحييرِ هذا لأُناس كثيرين فهو أنَّ له وقْعاً عبثيّاً. إنَّه لا يبدو أمراً من المحبَّة أن يُفعَل. وهكذا يبدو أنَّه يُحوِّل تألُّم المسيح إلى عكس ما يصفُه به الكتاب المقدَّس، ألا وهو أنَّه فعلُ المحبَّة الأسمى. غير أنَّه بالحقيقة هذا وذاك معاً. فإنَّ موتَ المسيح لأجل مجده الشخصيِّ وموتَه لإظهار المحبَّة ليسا كِلاهما **صحيحَين** فقط، بل هُما **الأمرُ نفسُه** أيضاً.

إنَّ المسيح فريد، لا مثيلَ له. فلا أحدَ سواه يستطيع أن يتصرَّف هكذا ويدعو تصرُّفَه محبَّة. فالمسيح هو في الكون كلِّه الإنسانُ الوحيد الذي هو الله أيضاً، ومن ثَمَّ فهو ذو قيمة لانهائيَّة. وهو جميلٌ لانهائيّاً في جميع كمالاته الأدبيَّة. وهو لانهائيّاً حكيم وعادل وصالح وقويّ. إنَّه«بَهَاءُ مَجْدِ اللهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ» (عبرانيين ١: ٣). فأن نراه وأن نعرفه هُما أمران مُشبِعان أكثر من حيازة كلِّ ما تستطيع الأرض أن تُقدِّمه.

وأُولئك الذين عرفوه المعرفةَ الفُضلى، تكلَّموا على هذا النَّحو:

«مَا كَانَ لِي رِبْحاً، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ» (فيلبِّي ٣: ٧ و٨).

إنَّ كون المسيح «قد مات لكي نعيش له» لا يعني «لكي **نُساعِدَه**». فإنَّ الله «لاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ» (أعمال ١٧: ٢٥). وكذلك المسيح أيضاً «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضاً لَمْ يَأْتِ **لِيُخْدَمَ** بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مرقس ١٠: ٤٥). فما مات المسيح لأجله ليس لكي نُساعِدَه، بل لكي نراه ونتمتَّع به باعتباره ذا قيمة لانهائيَّة. لقد مات لكي يفطِمنا عن اللَّذَّات السَّامَّة ويُبهِجَنا بمسرَّات جماله. بهذه الطريقة نُحَبُّ نحن ويتمجَّد هو. وليس هذان هدفَين مُتضارِبَين، بل هُما أمرٌ واحد.

قال المسيح لتلاميذه إنَّه وجَبَ أن يرحل عنهم حتَّى يصير ممكناً أن يُرسِلَ الرُّوحَ القدس، **المعين** (يوحنا ١٦: ٧). ثُمَّ أخبرهم بما سيفعلُه **المعين** عندما يجيء: «ذَاكَ يُمَجِّدُنِي» (يوحنا ١٦: ١٤). لقد مات المسيح وقام حيّاً لكي نراه ونُعظِّمه. وهذه أعظم معونة في الكون. هذه هي المحبَّة. والصلاة الأكثر حُبّاً بين ما صلاَّه المسيح على الإطلاق كانت هذه: «أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي» (يوحنا ١٧: ٢٤). لأجل هذا مات المسيح. وهذه هي المحبَّة: تألُّمه لكي يُعطيَنا تمتُّعاً أبديّاً، ألا وهو شخصُه نفسُه.

٣٣

ليجعل صليبه أساسَ افتخارِنا كلِّه

حَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ.

غلاطية ٦: ١٤

يبدو هذا أمراً ينطوي على مُبالغة. الافتخار بصليب المسيح فقط! حقّاً؟ هل المقصود فعلاً الافتخار بالصليب **فقط**؟ حتَّى الكتاب المقدَّس يتحدَّث عن أمور أُخرى نفتخر بها. كأنْ نفتخِر بمجد الله (رومية ٥: ٢).أو نفتخِر بضيقاتنا (رومية ٥: ٣). أو نفتخِر بضعفاتنا (٢كورنثوس ١٢: ٩). أو نفتخِر بشعب المسيح (١تسالونيكي ٢: ١٩). فما معنى عدم الافتخار «إلاَّ» بصليب المسيح هنا؟

معناه أنَّ كلَّ افتخار آخر ينبغي أن يكونَ بَعدُ افتخاراً بالصليب. فإذا افتخرنا برجاء المجد، ينبغي أن يكون ذلك الافتخار عينُه افتخاراً بصليب المسيح. وإذا افتخرنا بشعب المسيح، ينبغي أن يكون ذلك الافتخار عينُه افتخاراً بالصَّليب. فالافتخار بالصليب وحدَه يعني أنَّ الصليب وحده يُمكِّننا من كلِّ افتخار صحيح آخر، وكلَّ افتخار صحيح ينبغي بالتالي أن يُكرِمَ الصليب.

لماذا؟ لأنَّ كلَّ أمرٍ صالح – بل بالحقيقة كلَّ أمرٍ سيِّئ يحوِّله الله للخير – قد حصَّلَه لنا صليبُ المسيح. فبمعزل عن الإيمان بالمسيح، لا ينال الخُطاة إلاَّ الدَّينونة فقط. صحيحٌ أنَّ أُموراً مُسرَّة كثيرة تُوافي غير المؤمنين. ولكنَّ الكتاب المقدَّس يُعلِّم أنَّه حتَّى بَرَكاتُ الحياةِ الطبيعيَّةُ هذه سوف تُضاعِفُ فقط حدَّة دينونة الله في النهاية، إن كانت لا تُقبَل بالشُّكر على أساس آلام المسيح (رومية ٢: ٤ و٥).

وهكذا، فإنَّ كلَّ ما نتمتَّع به، نحن الواثقين بالمسيح، هو بفضل موته. إنَّ آلامَه وموته تشرَّبت كامل الدينونة التي استحقَّها الخُطاة المذنِبون، واشترَت كلَّ الخير الذي يتمتَّع به الخطاة المسامَحون. ولذلك فإنَّ كامل افتخارنا بهذه الأشياء ينبغي أن يكون افتخاراً بصليب المسيح. ونحن لسنا مُركِّزين على المسيح ومقدِّرين للصليب كما ينبغي، لأنَّنا لا نُفكِّر مليّاً في حقيقة كونِ كلِّ شيء صالح، وكلِّ شيء طالح يحوِّله الله للخير، قد اقتُنِيَ بآلام المسيح وموته.

ثُمَّ كيف نصير مُركِّزين على الصليب بتلك الصُّورة الجذريَّة؟ يجب أن نتنبَّه إلى حقيقة كوننا مُتنا لمَّا مات المسيح على الصليب (راجع الفصل ٣١). ولمَّا حصل هذا للرَّسول بولس، قال: «قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غلاطية ٦: ١٤). هذا هو مفتاح الافتخار بالصَّليب، المركَّز على المسيح.

عندما تضع ثقتك في المسيح، تنكسر جاذبيَّةُ العالَم الطاغيةُ. فأنت جُثَّةٌ هامدة بالنِّسبة إلى العالَم، والعالَم جُثَّةٌ هامدة بالنِّسبة إليك. أو بتعبيرٍ إيجابيّ: أنت «خَلِيقَةٌ جَدِيدَة» (غلاطية ٦: ١٥). فذاتُك القديمة مَيْتة. وها هي ذاتٌ جديدة حيَّة، ذاتُك التي من الإيمان بالمسيح. وما يُميِّز هذا الإيمان هو أنَّه يدَّخِر المسيح كنزاً أسمى من كلِّ شيءٍ في العالم. لقد ماتت قُدرةُ العالَم على التودُّد إليك والفوز بمحبَّتك له.

أن تكون مَيْتاً بالنِّسبة إلى العالَم يعني أنَّ كلَّ مَسرَّةٍ حَلالٍ في العالَم تُصبِح دَليلاً مُشترًى بالدَّم على محبَّة المسيح ومُناسَبةً للافتخار بالصليب. فعندما تجري قلوبُنا رُجوعاً على أشِعَّة البَرَكة إلى مصدرها في الصليب، عندئذٍ نَجِدُ دُنيويَّةَ البَرَكةِ مَيْتةً، ويكونُ المسيحُ المصلوب هو الكُلَّ بالكُلِّ.

٣٤

ليُمكِّننا من أن نحيا في الإيمان به

مَعَ الْمَسيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا،
بَلِ الْمَسيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ،
فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي
وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي.

غلاطية ٢: ٢٠

في هذه الآية تناقُضٌ ظاهريٌّ واضح. «صُلِبْتُ»، ولكنْ «أَحْيَا... الآن». إلاَّ أنَّك قد تقول: «ليس هذا تناقُضاً، بل هو تعاقُب. فأوَّلاً، متُّ مع المسيح، ثُمَّ أُقمتُ معه حيّاً، وأنا أحيا الآن.» صحيح! ولكنْ ماذا تقول في هذه الكلمات الأكثرِ تناقُضاً بَعد: «أحيا لا أنا»، ومع ذلك «أحيا... الآن»؟ أفأحيا أم لا؟

ليست المفارَقات تناقُضات، بل هي تبدو كذلك. فما عناه بولس أنَّه كان هُنالك «أنا» مات، وهُنا الآن «أنا» مُختلفٌ يحيا. ذلك هو ما يعنيه أن يصير المرء مسيحيّاً حقيقيّاً: ذات قديمةٌ تموت؛ وذاتٌ جديدة **تُخلَق** أو **تُقامُ حيَّةً**. «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ **خَلِيقَةٌ** جَدِيدَةٌ» (٢كورنثوس ٥: ١٧). «وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا [اللهُ] مَعَ الْمَسِيحِ...**وَأَقَامَنَا** مَعَهُ» (أفسس ٢: ٥ و٦).

لقد كان هدف موت المسيح أن يأخذ «ذاتنا القديمة» معه إلى القبر ويضع لها حدّاً نهائيّاً. «عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ **إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ** قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ» (رومية ٦: ٦). فإن وثِقنا بالمسيح، نُصبحُ مُتَّحِدين معه، ويحسُبُ اللهُ أنَّ ذاتَنا القديمة قد ماتت مع المسيح. وكان الغَرَض أن تُقام ذاتٌ جديدةٌ حيَّةٌ.

إذاً، مَن هو «الإنسان» الجديد؟ وما هو المختلف بين هاتَين الذَّاتين؟ أما زِلتُ أنا إيَّاي؟ إنَّ الآية التي تتصدَّر هذا الفصل تصف الذاتَ الجديدة بطريقتَين: إحداهما لا تكادُ تُتَصوَّر؛ والأُخرى واضحة. فهي، أوَّلاً، تقول إنَّ الإنسان الجديد هو المسيحُ حيّاً فِيَّ: «أَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ.» وأنا أفهم هذا بمعنى أنَّ الذَّات الجديدة يُحدِّدُها حضورُ المسيح ومعونتُه كلَّ حين. فهو دائماً يبثُّ الحياة فِيَّ. وهو دائماً يُقوِّيني على ما يدعوني إلى القيام به. لهذا يقول الكتاب المقدَّس: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فيلبِّي ٤: ١٣). «أَتْعَبُ... مُجَاهِداً، بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيَّ بِقُوَّةٍ» (كولوسي ١: ٢٩). وهكذا، فمتى قِيلَ وعُمِلَ كلُّ شيء، تقول الذاتُ الجديدة: «لاَ أَجْسُرُ أَنْ أَتَكَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا لَمْ يَفْعَلْهُ الْمَسِيحُ بِوَاسِطَتِي» (رومية ١٥: ١٨).

تلك هي الطريقة الأُولى التي بها تتكلَّم الآية فِي غلاطية ٢: ٢٠ عن الذات الجديدة: «أنا» يسكنُه المسيح ويُعيلُه ويُقوِّيه. ذلك هو ما مات المسيح لكي يُحدِثَه. وذلك هو جوهرُ المسيحيِّ الحقيقيِّ. أمَّا الطريقة الأُخرى التي بها تتكلَّم الآية عن الذات الجديدة فهي

هذه: أنَّها تحيا بالاتِّكال الواثق على المسيح لحظةً فلحظة. «ما أحياه الآن في الجسد، فإنَّما أحياه في الإيمان، إيمان ابن اللّه الذي أحبَّني وأسلم نفسه لأجلي.»

ولَولا هذا الوصفُ الثاني للذَّات الجديدة، لَرُبَّما تساءلنا عمَّا هو دورُنا في اختبار معونة المسيح اليوميَّة. فالآن لدينا الجواب: الإيمان. فمن الجانب الإلهيِّ، المسيح حيٌّ فينا ومُقوِّينا على أن نحيا كما يُعلِّمنا هو أن نحيا. إن العملَ عملُه. أمَّا من جانبنا، فنحن نختبر هذه الحياة بالاتِّكال عليه لحظةً فلحظة واثقين بأنَّه معَنا ومُعينُنا. إنَّما البُرهان على أنَّه سيكون معنا وسيُعينُنا على القيام بهذا هو حقيقةُ كونهِ قد تألَّم ومات لكي يجعل هذا يحدُث.

٣٥

ليُضفيَ على الزواج معناه الأعمق

أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ
كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ
وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا.

أفسس ٥: ٢٥

إنَّ تصميم الله للزَّواج في الكتاب المقدَّس يُصوِّر الزَّوجَ مُحِباً زوجته كما أحبَّ المسيحُ شعبَه، والزَّوجةَ مُستجيبةً لزوجها كما ينبغي أن يستجيب شعبُ المسيح له. وقد كانت هذه الصُّورة في فِكر الله لمَّا أرسل المسيح إلى العالَم. فإنَّ المسيح جاء لأجل عروسِه ومات من أجلها ليُبيِّن الطريقة التي قُصِدَ للزَّواج أن يكون عليها.

كلاً، ليس بيتُ القصيد في المشابَهة أنَّ الأزواج ينبغي أن يتألَّموا على أيدي زوجاتهم. صحيحٌ أنَّ ذلك حدث فعلاً للمسيح بمعنًى من المعاني. فهو قد تألَّم ومات لكي يأتيَ بشَعب – بعروس – إلى الوجود، وهؤلاء القَوم أنفسُهم كانوا بين الذين سبَّبوا آلامَه. وقد كان قِسمٌ كبير من أساه بسبب ترك تلاميذه له (متَّى ٢٦: ٥٦). ولكنَّ بيت القصيد في المشابهَة هو كيف أحبَّهم المسيح حتَّى الموتَ ولم ينبذْهم.

إنَّ فكرة الله بشأن الزَّواج سبقت اتِّحادَ آدم وحوَّاء ومجيءَ المسيح. ونحن نعلَم هذا لأنَّه لمَّا فسَّر رسولُ المسيح كُنْهَ الزَّواج، عاد بالذَّاكرة إلى بداءة الكتاب المقدَّس واقتبس الآية المذكورة في تكوين ٢: ٢٤ «يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَداً وَاحِداً» (تكوين ٢: ٢٤). ثُمَّ فسَّر الآية التالية ما اقتبسه توّاً: «هذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ» (أفسس ٥: ٣١ و٣٢).

ذلك يعني أنَّه في فِكر الله صُمِّم الزَّواج في البدء لكي يُبيِّن علاقة المسيح بشعبه. أمَّا سببُ الإشارة إلى الزَّواج على أنَّه سرٌّ فهو أنَّ هذا الهَدَف للزَّواج لم يُعلَن بوضوح حتَّى مجيء المسيح. والآن نعرِف أنَّ الزَّواج قُصِدَ له أن يجعل محبَّة المسيح لشعبه منظورةً في العالم بصورةٍ أجلى.

وبما أنَّ هذا كان في فِكر الله منذ البَدء، فقد كان أيضاً في فِكر المسيح لمَّا واجه الموت. فقد عَلِمَ أنَّه بينَ النتائج الكثيرة لآلامه وموته كانت هذه: أن يُظهِر بجلاءٍ معنى الزَّواجِ الأعمقَ. إنَّ جميع آلامه قُصِدَ بها أن تكون رسالةً خصوصيَّة إلى الأزواج: هذه هي الطريقة التي بها ينبغي لكلِّ زوج أن يحبَّ زوجته.

مع أنَّ الله لم يهدِف، في البدء، للزِّيجات أن تكون بائسة، فكثيرٌ منها هكذا. وذلك هو ما تفعله الخطيَّة. وقد تألَّم المسيح ومات ليُغيِّر هذا الواقع. وعلى الزَّوجات مسؤوليَّتُهُنَّ في هذا التغيير. غير أنَّ المسيح يُلقي على الأزواج مسؤوليَّةً خاصَّة. ولهذا

يقول الكتاب المقدَّس: «أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا» (أفسس ٥: ٢٥).

ليس الأزواج هُمُ المسيح. ولكنَّهم مدعوُّون لأنْ يكونوا مثله. ووجهُ المشابَهةِ الخاصُّ هو استعداد الزوج لأنْ يتألَّم لأجل خير زوجته دون تهديدها أو إساءة مُعامَلتها. وهذا يشمل التألُّم لأجل حمايتها من أيَّة قوًى خارجيَّة، فضلاً عن مُعاناة الخيبات أو إساءات المعامَلة أيضاً من جانبها. فهذا النَّوع من الحُبِّ مُمكِنٌ فقط لأنَّ المسيح مات لأجل الزَّوج والزَّوجة كِلَيهما. إنَّ خطاياهُما مغفورة على السَّواء. فلا مُوجِبَ لأنْ يجعل أيٌّ منهما الآخر يُعاني من أجل الخطايا. لقد تحمَّل المسيح تلك المعاناة. والآن، بصفتنا شخصَين خاطئَين ومُسامحَين، يمكننا أن نردَّ الخير بدلاً من الشَّرّ.

٣٦

ليخلق شعباً متحمِّساً للأعمال الصالحة

بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لكَيْ يَفْدِيَنَا
مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِه شَعْباً خَاصّاً غَيُوراً
فِي أَعْمَال حَسَنَة.

تيطس٢: ١٤

تكمُنُ في لُبِّ الإيمان المسيحيِّ حقيقةُ كوننا مُسامَحين ومقبولين عند الله، لا لأنَّنا عملنا أعمالاً صالحة، بل لنُجعَل قادرين عليها ومتحمِّسين لها. فالكتاب المقدَّس يقول إنَّ الله «خَلَّصَنَا...لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا» (٢تيموثاوس ١: ٩). فالأعمال الصالحة ليست أساسَ قبولنا، بل هي ثمَرُه. وقد تألَّم المسيح ومات لا لأنَّنا قدَّمنا له أعمالاً صالحة، بل مات لكي «يُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْباً خَاصّاً غَيُوراً فِي أَعْمَال حَسَنَة» (تيطس ٢: ١٤).

هذا هو معنى النِّعمة. فليس في وسعنا أن نحصل على مقام سليم أمام الله بسبب أعمالنا. إنَّما يجب أن يكون هذا عطيَّة مجَّانيَّة. وفي وسعنا فقط أن نقبله بالإيمان، مُقدِّرين إيَّاه كأعظم كنز في حوزتنا. لهذا يقول الكتاب المقدَّس: «بِالنِّعْمَةِ أَنتُم مُخَلَّصُونَ بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ.لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ.» (أفسس ٢: ٨ و٩). فقد تألَّم المسيح ومات لكي تكون الأعمالُ الصالحة هي **نتيجةَ** قُبولنا، لا سببَه.

فلا عجَبَ إذاً أن تقول الآية التالية: «لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ» (أفسس ٢: ١٠). ذلك أنَّنا مُخلَّصون **لأجل** الأعمال الصالحة، لا **بفضل** الأعمال الصالحة. وليس هدف المسيح مجرَّد **القُدرة** على القيام بتلك الأعمال، بل التَّحمُّس للقيام بها أيضاً. لذلك يستخدم الكتاب المقدَّس الكلمة «**غيوراً**». فإنَّ المسيح مات ليجعلنا **غيارى** لتأدية «أعمال صالحة». والغَيرة تعني التَّحمُّس، أو الشَّغَف. فالمسيح لم يمُت لكي يجعل الأعمال الصالحة مُمكِنةً فقط، ولا لإحداث مسعًى فاتر. إنَّه مات لكي يُحدِثَ فينا **شَغَفاً وحماسةً** للأعمال الصالحة. فالطهارة المسيحيَّة ليست مُجرَّدَ تجنُّبِ الشَّرِّ، بل هي أيضاً طلبُ الخير والقيامُ به دائماً.

هُنالك أسبابٌ وراء دفْع المسيحِ الثَّمنَ اللامحدود لإحداث شغَفِنا بالأعمال الصالحة وحماستَنا لها. وقد حدَّد السببَ الرئيسيَّ بهذه الكلمات: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (متَّى ٥: ١٦). فإنَّ الله يُظهَر مجيداً بواسطة الأعمال الصالحة التي يؤدِّيها المؤمنون بالمسيح. ولأجل ذلك المجد تألَّم المسيح ومات.

لما حرَّرنا غُفرانُ الله لنا وقبولُه إيَّانا من الخوف والكِبرياء والجَشَع، مُلئنا حماسةً لنُحِبَّ الآخرين مثلما أُحبِبنا. فنحن نُخاطِر بأملاكنا وحياتنا لأنَّنا آمِنون في المسيح.

وعندما نحبُّ الآخرين على هذا النَّحو، يكون سلوكُنا مُناقِضاً لتعزيز الذَّات والحِفاظ على الذَّات البشريَّين. وهكذا يُلفَتُ الانتباه إلى **كنزنا** و**أماننا** المغيِّرَين للحياة، ألا وهُما الله.

ثُمَّ ما هي تلك **الأعمال الصالحة** أو الحسنة؟ دونَ تحديد مداها، يعني الكتاب المقدَّس بصورة رئيسيَّة مُساعدة الناس عند الحاجة الملحَّة، خصوصاً أُولئك الذين يملكون أقلَّ الأشياء ويُعانون أقسى مُعاناة. مثلاً يقول الكتاب المقدَّس: «لْيَتَعَلَّمْ مَنْ لَنَا أَيْضاً أَنْ يُمَارِسُوا أَعْمَالاً حَسَنَةً لِلْحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ» لدى الآخرين خُصوصاً (تيطس ٣: ١٤). لقد مات المسيح ليجعلنا شعباً من هذا النَّوع، مُتحمِّسين لمساعدة الفقراء والهالكين. وهذه هي الحياة الفُضلى، مهما كلَّفَنا ذلك في هذا العالَم: فهُم ينالون العَون، ونحن ننال الفرح، والله ينال المجد.

٣٧

ليَدعوَنا إلى الاقتداء به في الاتِّضاع والمحبَّة الغالية المضحِّية

لأَنَّ هذا فَضْلٌ، إنْ كَانَ أَحَدٌ منْ أَجْل ضَمير نَحْوَ الله،
يَحْتَملُ أَحْزَاناً مُتَأَلِّماً بالظُّلْم... لأَنَّكُمْ لهذَا دُعيتُمْ.
فَإِنَّ المَسيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ لأَجْلنَا، تَاركاً لَنَا مثَالاً
لكَيْ تَتَّبعُوا خُطُوَاته.

١ بطرس ٢: ١٩ - ٢١

فَتَفَكَّرُوا في الَّذي احْتَمَلَ منَ الخُطَاة
مُقَاوَمَةً لنَفْسه مثْلَ هذه لئَلاَّ تكلُّوا وَتَخُورُوا في نُفُوسكُمْ.
لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّم مُجَاهدينَ ضدَّ الخَطيَّة.

عبرانيين ١٢: ٣ و٤

فَلْيَكُنْ فيكُمْ هذَا الْفكْرُ الَّذي في الْمَسيح يَسُوعَ أَيْضاً:

الَّذي إِذْ كَانَ في صُورَة الله،

لَمْ يَحْسبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادلاً لله.

لكنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخذاً صُورَةَ عَبْد،

صَائراً في شبْه النَّاس.

وَإِذْ وُجدَ في الْهَيْئَة كَإِنْسَان،

وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّليب.

فيلبّي ٢: ٥- ٨

ليس الاقتداء هو الخلاص. ولكنَّ الخلاص يجلب الاقتداء. فالمسيح لا يُقدَّم لنا أوَّلاً بصفته قُدوةً أو مثالاً، بل بصفته المخلِّص. وفي اختبار المؤمن، يأتي صَفحُ المسيح أوَّلاً، ثُمَّ قُدوة المسيح. أمَّا في اختبار المسيح نفسِه، فهما يحصلان معاً: المعاناة التي تصفح عن خطايانا هي عينُها توفِّر لنا قُدوتَنا في المحبَّة.

وبالحقيقة أنَّه عندما نختبر صفح المسيح يمكن أن يصير قدوةً لنا. إنَّما يبدو هذا خاطئاً لأنَّ آلامه فريدةٌ في نوعها. فلا يمكن أن يُقتدى بها. إذ لا يستطيع أحدٌ سوى ابن اللّه أن يتألَّم «لأجلنا» كما تألَّم المسيح. فهو حمَلَ خطايانا بطريقة لم يكُن أحدٌ سواه يستطيعُها. لقد كان متألِّماً بديلاً. ولا يمكن أبداً أن نتألَّم مثلَ آلامه تماماً. إذ كان ذلك مرَّةً وإلى الأبد: «البارُّ من أجل الأَثَمَة». فالآلام النِّيابيَّة الإلهيَّة من أجل الخطاة لا يمكن الاقتداء بها أبداً، لكونها أمراً فذّاً لا يُضاهى.

غير أنَّ هذا التألُّم الفريد، بعدَ الصَّفح عن الخطاة وتبريرهم يُحوِّلُهم إلى أُناس يتصرَّفون مثلَ المسيح، لا مِثلَه في المغفِرة بل مِثلَه في المحبَّة. مِثلَه في التألُّم من أجل فعل

الخير للآخرين. مِثلَه في الاتِّضاع والحِلْم. مِثلَه في الاحتمال بصبر. مِثلَه في الخادميَّة. لقد تألَّم المسيح لأجلنا تألُّماً فريداً، حتَّى نتألَّم معه في سبيل قضيَّة المحبَّة.

إنَّ بولس، رسولَ المسيح، قال إنَّ طُموحَه كان أوَّلاً أن ينالَ نصيبه من برِّ المسيح بواسطة الإيمان، ثُمَّ أن يشترِكَ معه في آلامه في سبيل الخدمة. لكي «أُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ [البرُّ الَّذِي يأتي من الإيمان بالمسيح... لكي أختبِرَ] شَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهاً بِمَوْتِهِ» (فيلبِّي ٣: ٩ و١٠). إنَّ التَّبرير يسبق الاقتداء ويجعله مُمكناً. فإنَّ تألُّمنا لأجل الاخرين لا يرفع عنهم غضب الله. إنَّه يُبيِّن قيمة رفْع غضب الله بآلام المسيح وموته. إنَّه يدلُّ الناس على المسيح.

عندما يدعونا الكتاب المقدَّس لأنْ نصبر «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضاً عَلَى الْخَلاَصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (٢تيموثاوس ٢: ١٠)، يعني أنَّ اقتداءنا بالمسيح يوجِّه الناس إليه، وهو وحدَه الذي يستطيع أن يُخلِّص. فإنَّ تألُّمنا مهمٌّ، ولكنَّ تألُّم المسيح وحدَه يُخلِّص. إذاً، فلنقتدِ به، ولكنْ لا نأخُذْ مكانه!

٣٨

ليُوجدَ جماعةً من الأتْباع المصلوبين

إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي،

فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ،

وَيَتْبَعْنِي.

لوقا ٩: ٢٣

وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي

فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي.

متَّى ١٠: ٣٨

لقد مات المسيح ليُوجِد رُفقَاء له على طريق الجُلجُثة. والجُلجُثة هو اسم التَّلّ الذي عليه صُلِبَ المسيح. فإنَّه علِمَ أنَّ سبيل حياته سيؤدِّي به إلى هُناك أخيراً. وبالحقيقة أنَّه «ثَبَّتَ وَجْهَهُ» مُنطلقاً إلى هُناك (لوقا ٩: ٥١). فما كان أيُّ شيء ليُعيق مَهمَّته بأن يموت. وقد علِمَ أين ومتى وجَبَ أن يتمَّ ذلك الأمر. ولمَّا نبَّهه بعضُهم، إذ كان في الطريق إلى أُورشليم، إلى أنَّه عُرضةٌ للخطر من قِبَل الملك هيرودُس، استخفَّ بالفكرة القائلة بأنَّ في وسع هيرودس أن يُعرقِل خُطَّة الله. «امْضُوا وَقُولُوا لِهذَا الثَّعْلَبِ: ‹هَا أَنَا أُخْرِجُ شَيَاطِينَ، وَأَشْفِي الْيَوْمَ وَغَداً، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أُكَمَّلُ [أي أُنهي شَوطي]›!» (لوقا ١٣: ٣٢). فإنَّ كلَّ شيء كان يجري حسبَ الخُطَّة. ثُمَّ لمَّا جاءت النِّهاية أخيراً واعتقلَه الرَّعاعُ عشيَّة موته، قال لهم: «أَمَّا هذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ لِكَيْ تُكَمَّلَ كُتُبُ الأَنْبِيَاءِ»، أي ليتمَّ ما تنبَّأ به الأنبياء في كُتُبهم (متَّى ٢٦: ٥٦).

وبمعنًى ما، طريقُ الجُلجُثة هي المكان الذي فيه يُقابِلُ كلُّ شخصٍ المسيحَ. صحيحٌ أنَّه قد مشى الطريق أصلاً، ومات ثُمَّ قام حيّاً، وهو الآن يملك في السماء إلى أن يعود. ولكنْ عندما يُقابِل المسيحُ شخصاً ما اليوم، يكون ذلك دائماً على طريق الجُلجُثة. وكلَّما قابل شخصاً على طريق الجُلجُثة، يقول: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي» (لوقا ٩: ٢٣). فلمَّا ذهب المسيح إلى الصَّليب، كان هدفُه أن يدعو جماعةً كبيرة من المؤمنين إلى السَّير وراءه.

ليس سببُ ذلك أنَّ المسيح يجب أن يموت ثانيةً اليوم، بل أننا **نحن** يجب أن نموت. فعندما يأمُرنا المسيح بحَمْل صليبنا، يعني أن تعالَوا وموتوا. إذ إنَّ الصليب كان مكان إعدام رهيب. فما كان وارداً في أيَّام المسيح أن يُحمَل الصليب كجُزءٍ من الزِّينة. إذ كان من شأن ذلك أن يكون أشبه بحَمْل مِشنَقة أو كُرسيٍّ كهربائيٍّ مُصغَّرَين. فلا بُدَّ أنَّه كان لكلماته وقْعٌ مُروِّع: «مَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي» (متَّى ١٠: ٣٨).

وهكذا فإنَّ هذه الكلمات مُصَحِّيةٌ اليوم. فهي تعني على الأقلِّ أنَّه حين أتبَعُ المسيح بصفته مُخلِّصي وربيِّ، يجب أن يُصلَبَ إنساني القديمُ الذي يطلُب إرادته الذاتيَّة وينهمك في شؤونه الشخصيَّة. يجب عليَّ كلَّ يوم أن أحسِبَ نفسي مَيتاً عن الخطيَّة وحيّاً لله. «احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتاً عَنِ الْخَطِيَّةِ، وَلكِنْ أَحْيَاءً للهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية ٦: ١١).

غير أنَّ الرِّفقة على طريق الجُلجُثة تعني أكثر من ذلك. فهي تعني أنَّ المسيح مات لنكون على استعداد لأنْ نحمل عارَه. «يَسُوعُ... تَأَلَّمَ خَارِجَ الْبَابِ... فَلْنَخْرُجْ إِذاً إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ» الذي عاناه (عبرانيين ١٣: ١٢ و١٣). إنَّما ليس العار فقط، بل الاستشهادَ أيضاً إذا دعَت الضَّرورة. ويُصوِّر الكتاب المقدَّس بعضاً من أتْباع المسيح على هذا النَّحو: «وَهُمْ غَلَبُوا[إبليس] بِدَمِ الْخَرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ» (رؤيا ١٢: ١١). إذاً، لقد سفك حمَلُ الله دمَه ليتسنَّى لنا أن نهزم إبليس بالتوكُّل على دمه وسفك دمائنا. إنَّ المسيح يدعونا إلى السَّير في طريق الجُلجُثة. وهذه حياةٌ شاقَّة وصالحة. فتعال!

٣٩

ليُحرِّرنا من عبوديَّة الخوف من الموت

فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ
اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذلِكَ فِيهِمَا،
لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ
سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ–
خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ– كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ.

عبرانيين ٢: ١٤و١٥

إنَّ المسيح سمَّى الشيطان قتَّالاً. «ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَق... لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ» أو الأكاذيب (يوحنا ٨: ٤٤). ولكنَّ اهتمامه الأوَّل ليس القتل، بل اللَّعْن. فبالحقيقة أنَّه يفضِّل كثيراً أن تكون لأتْباعه حياةٌ طويلة وهانئة، لكي يسخر من القدِّيسين المتألِّمين ويحجب أهوال جهنَّم.

إنَّما قُدرتُه على لَعْن الكائنات البشريَّة لا تكمن في ذاته، بل في الخطايا التي يُغريهم بها والأكاذيب التي يتفوَّه بها. فالشيء الوحيد الذي يلعن أيَّ إنسان بحُكم الدينونة الأبديِّ هو الخطيَّة غير المغفورة. ولا شيءَ من السُّحور والرُّقى والتَّعاويذ وجلسات تحضير الأرواح واللَّعنات والسِّحر الأسود والأشباح والأصوات، لا شيءَ من هذه كلِّها يطرح إنساناً في جهنَّم. فهذه كلُّها أجراسُ إبليس وصفَّاراتُه. إنَّما السِّلاح المهلك الوحيد بيد إبليس هو قُدرتُه على خِداعنا. وكِذبتُه الكُبرى أنَّ تمجيد الذات يجب أن يُطلَب بدلاً من تمجيد المسيح، وأنَّ الخطيَّة تُفضَّل على البرِّ. فإذا أمكن نزعُ ذلك السِّلاح من يده، لا تعود له القدرة على جرِّ الناس إلى الموت الأبديِّ.

ذلك هو ما جاء المسيح لكي يفعله: نزْع السِّلاح من يد الشَّيطان. ولكي يفعل المسيح هذا، حمَلَ هو نفسُه خطايانا وتألَّم ومات من أجلها. فلمَّا تمَّ ذلك، ما عاد مُمكِناً أن يستخدمها إبليسُ لإهلاكنا. أيفي وسعه أن يوبِّخنا ساخراً؟ نعم، وأن يستهزئ بنا؟ نعم. أمَّا أن يلعنَنا، فما. لقد حمل المسيح اللَّعنة بدلاً منَّا. ومهما حاول الشيطان، فلن يستطيع أبداً أن يُدمِّرنا. إنَّ غضب الله قد رُفِعَ عنَّا. ورحمتُه تُرسُنا. ولا يُمكن أن ينجح الشيطان أبداً في عمله ضدَّنا.

ولكي يُنجِزَ المسيح هذا الإنقاذ، وجَبَ أن يتَّخذ طبيعةً بشريَّة، لأنَّه من دونها لا يمكن أن يختبر الموت. فإنَّ موت ابن الله وحدَه أمكن أن يُبيدَ مَن كان له سُلطانُ الموت. ولهذا السَّبب يقول الكتاب المقدَّس: «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ

أَيْضاً كَذلِكَ فِيهِمَا [اتَّخذ طبيعة بشريَّة]، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ» (عبرانيين ٢: ١٤). فلمَّا مات المسيح من أجل الخطايا، انتزع من إبليس سِلاحَه المهلِكَ الوحيد، ألا وهو الخطيَّة غير المغفورة.

إنَّ تحريرنا من الخوف كان هدف المسيح في قيامه بهذا. فبموته حرَّر «أُولئِكَ الَّذِينَ - خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ - كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ» (عبرانيين ٢: ١٥). إنَّ الخوف من الموت يستعبد الإنسان، فهو يجعلنا جُبَناء وبُلَداء. وقد مات المسيح لكي يُحرِّرنا. فلمَّا تبدَّد الخوف من الموت بفعل محبَّة مُضحِّية بالذات، انكسَرَ الاستعباد لِحفظ الذات المضجِر المغرور. لقد حُرِّرنا لكي نُحِبَّ على غِرار المسيح، حتَّى لو كلَّفنا ذلك حياتَنا.

قد يقتل إبليس أجسادنا، ولكنَّه لم يعُد قادراً على قتل نفوسنا. فهذه آمِنةٌ وسالِمة في المسيح. «إِن كانَ روحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِناً فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ [بين] الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ [الفانية] أَيْضاً بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ» (رومية ٨: ١١). إنَّنا أكثرُ الناس حرِّيَّةً. والكتاب المقدَّس واضحٌ تماماً بشأن غرَض هذه الحرِّيَّة: «فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. غَيْرَ أَنَّهُ لاَ تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً» (غلاطية ٥: ١٣).

٤٠

لنكونَ معه حالاً بعد الموت

ماتَ [المسيح] لأَجْلنَا،
حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا
نَحْيَا جَميعاً مَعَهُ.

١تسالونيكي ٥: ١٠

لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ
هُوَ رِبْحٌ...فَإِنِّي مَحْصُورٌ مِنَ الاثْنَيْنِ: لِيَ اشْتِهَاءٌ
أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدّاً.

فيلبي ١: ٢١، ٢٣

فَنَثِقُ وَنُسَرُّ بِالأَوْلَى أَنْ نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ.

٢كورنثوس ٥: ٨

لا ينظر الكتاب المقدَّس إلى أجسادنا باعتبارها سيِّئة. فليست المسيحيَّة مثلَ بعضِ الدِّيانات اليونانيَّة القديمة التي عاملت الجسَد كثقلٍ ينبغي أن يُطرَح بسُرور. كلاَّ! إنَّ الموت عدوٌّ. وعندما تموت أجسادُنا، نفقد شيئاً عزيزاً. فليس المسيح ضدَّ الجسَد، بل هو مع الجسَد. والكتاب المقدَّس واضح بشأن هذا: «الْجَسَدَ لَيْسَ لِلزِّنَا بَلْ لِلرَّبِّ، وَالرَّبُّ لِلْجَسَدِ» (١كورنثوس ٦: ١٣). فهذه عبارة عجيبة: «الرَّبُّ لِلْجَسَدِ» (أي معه)!

ولكنْ لا ينبغي أن نتطرَّف كثيراً بحيثُ نقول إنَّه بمعزِل عن الجسَد لا يمكن أن تكون لنا حياةٌ ووعي. فالكتاب المقدَّس لا يُعلِّم هذا. ذلك أنَّ المسيح لم يمُت ليفتديَ الجسَد فحسْب، بل أيضاً ليربط النفس بشخصه ربطاً متيناً بحيثُ إنَّنا نكون معه، حتَّى دونَ الجسد. هذا عزاءٌ عظيم في الحياة والموت. وقد مات المسيح لكي نتمتَّع بهذا الرَّجاء.

من ناحية، يتحدَّث الكتاب المقدَّس عن فَقْد الجسَد بالموت بوصفه نوعاً من العُري للنَّفس: «فَإِنَّنَا فِي هذِهِ [الخيمة، أي الجسَد] أَيْضاً نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا... وَإِنْ كُنَّا لاَبِسِينَ لاَ نُوجَدُ عُرَاةً» (٢كورنثوس ٥: ٤). بعبارة أخرى، نُفضِّل أن ننتقل مُباشرةً من هُنا إلى جسَد القيامة، دونَ زمَنٍ فاصِل حين تكون أجسادنا في القبر. وهذا هو ما سيختبره أُولئك الذين يكونون أحياءً عندما يرجع المسيح من السماء.

ولكنْ من الناحية الأُخرى، يُشيد الكتاب المقدَّس بالزَّمَن الفاصِل، حين تكون نفوسُنا في السَّماء وأجسادنا في القبر. ليس هذا هو المجدَ النهائيَّ، ولكنَّه مجيد. إذ

نقرأ أنَّ «لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ» (فيلبِّي ١: ٢١). «ربح!» نعم، فَقْدُ الجسَد إلى حين. وبمعنًى ما، في حالة عُري. ولكنَّ هذا، أكثر من أيِّ شيء آخر، «ربح»! لماذا؟ لأنَّ الموت، بالنِّسبة إلى المؤمن بالمسيح، سيعني الذَّهاب إلى الوطن عند المسيح. كما يقول الرسول بولس: «لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدّاً» (فيلبِّي ١: ٢٣).

«أَفْضَلُ جِدّاً»! إنَّما ليس الأفضلَ من كلِّ وجهٍ بَعد. فذلك سيتمُّ عندما يُقام الجسَد بصِحَّة ومجد. غير أنَّه «أَفْضَلُ جِدّاً» على كلِّ حال. فسوف نكون مع المسيح بطريقة أكثر حميميَّةً، أكثر «توطُّناً» (كمن يستريح في بيته). ومن ثَمَّ قال المسيحيُّون الأوَّلون: «نَثِقُ وَنُسَرُّ بِالأَوْلَى أَنْ نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ» (٢كورنثوس ٥: ٨). فنحن الذين نؤمن بالمسيح لا ننقطع عن الوجود حين نموت. ولا نستغرق في نوعٍ من «رُقاد النَّفس». إنَّنا نمضي لنكون مع المسيح. وذلك «أَفْضَلُ جِدّاً». إنَّه «ربح».

هذا واحدٌ من الأسباب العَظيمة التي من أجلها تألَّم المسيح ومات. فالمسيح «مَاتَ لأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعاً مَعَهُ» (١تسالونيكي ٥: ١٠). ففي ما يُشبِه النوم، يرقد الجسَد هُناك في القبر. ولكنَّنا نحيا مع المسيح في السماء. إنَّما ليس هذا رجاءنا النِّهائيَّ. فالجسَد ذاتَ يوم سوف يُقام. ولكنْ قبل ذلك الحين، أنْ نكون مع المسيح أمرٌ أثمن من أن يُعبِّر عنه الكلام.

٤١

ليَضمنَ قيامتنا من بينِ الأموات

لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ
بِشِبْهِ مَوْتِه، نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِه.

رومية ٦: ٥

وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِناً فِيكُمْ،
فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي
أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضاً بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ.

رومية ٨: ١١

إِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ
فَسَنَحْيَا أَيْضاً مَعَهُ.

٢تيموثاوس ٢: ١١

مفاتيحُ الموت عُلِّقَت داخِلَ قبر المسيح. فمن الخارج، استطاع المسيح أن يُجري عدَّة عجائب، بينَها إقامةُ ابنةِ اثنتَي عشرة سنة ورجُلَين من بين الأموات، فقط ليموتوا ثانيةً (مرقس ٥: ٤١ و٤٢؛ لوقا ٧: ١٤ و١٥؛ يوحنا ١١: ٤٣ و٤٤). وإذا كان لِقَوم أن يُقاموا أحياءً من بين الأموات ولا يموتوا ثانيةً أبداً، وجَبَ أن يموتَ المسيح من أجلهم، ويدخُلَ القبر، ويأخذ المفاتيح، ويفتح باب الموت من الداخل.

إنَّ قيامة المسيح حيّاً هي عطيَّةُ الله وبُرهانُه على أنَّ موته نجح نجاحاً تامّاً في مَحوِ خطايا شعبه ورفْع غضب الله عنهم. وفي وسعك أن ترى هذه في الكلمة «لذلك». فإنَّ المسيح «أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ» (فيلبِّي ٢: ٨ و٩). ومِن على الصَّليب، هتَفَ ابنُ الله: «قَدْ أُكْمِلَ» (يوحنا ١٩: ٣٠). ثُمَّ بواسطة قيامة المسيح، يهتف الله الآب: «قد أُكمِلَ حقّاً!» فإنَّ العمل العظيم المتمثِّل في دفع أُجرة الخطيَّة كاملةً، وتوفير تبريرنا، وإيفاء عدالة الله حقوقَها، قد تَمَّ في صليب المسيح.

ثُمَّ في القبر، كان للمسيح الحقُّ والسُّلطة لأنْ يأخذ مفاتيح الموت ويفتح الباب لجميع الذين يُقبِلون إليه بالإيمان. فما دامت أُجرة الخطيَّة قد دُفِعَت، والبِرُّ قد وُفِّر، والعدل قد اكتفى، فلا شيءَ يستطيع أن يُبقيَ المسيحَ أو شعبَه في القبر. لذلك يهتف المسيح: «كُنْتُ مَيْتاً، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ! آمِينَ. وَلِي مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ» (رؤيا ١: ١٨).

يُعلِن الكتاب المقدَّس بكلِّ جلاء حقيقةَ كون الانتماء إلى المسيح يعني أنَّنا سوف نُقام من بين الأموات معه. «لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضاً مَعَهُ. «إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِـ... مَوْتِهِ [على هذا النَّحو]، نَصِيرُ [مُتَّحِدِينَ مَعَهُ] أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ» (رومية ٦: ٥). «إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ

يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ، سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضاً مَعَهُ» (١تسالونيكي ٤: ١٤). «اللهُ قَدْ أَقَامَ الرَّبَّ [يسوع]، وَسَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضاً بِقُوَّتِهِ» (١كورنثوس ٦: ١٤).

وها هُنا التَّرابطُ بين موت المسيح وقيامتنا: «أَمَّا شَوْكَةُ الْمَوْتِ فَهِيَ الْخَطِيَّةُ، وَقُوَّةُ الْخَطِيَّةِ هِيَ النَّامُوسُ» (١كورنثوس ١٥: ٥٦). فهذا يعني أنَّنا جميعاً قد أخطأنا، وأنَّ الناموس يحكم على الخُطاة بالموت الأبديّ. غير أنَّ النَّصَّ يمضي فيقول: «شُكْراً لِلهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (ع ٥٧). بعبارة أُخرى: إنَّ مطلب الناموس وفاهُ موتُ المسيح وقيامتُه. لذلك، الخطايا مغفورة. ولذلك، شوكةُ الخطيَّة منزوعة. ولذلك، أُولئك الذين يؤمنون بالمسيح **لن** يُحكَم عليهم أبداً بالموت الأبديِّ، بل سيُقامون «عَدِيمِي فَسَادٍ... حِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ» (١كورنثوس ١٥: ٥٢، ٥٤). فاندهِشْ وأقبِل إلى المسيح. إنَّه يدعوك قائلاً: أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يوحنا ١١: ٢٥).

٤٢

ليُجرِّد الرِّئاسات والسُّلطات الشِّرِّيرة من سلاحها

مَحَا الصَّكَّ [خُلاصة الدَّعوى ضدَّنا]...
وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّراً إِيَّاهُ
بِالصَّلِيبِ، إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ،
أَشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ.

كولوسي٢: ١٤ و١٥

لأَجْلِ هذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ
لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ.

١يوحنا٣: ٨

في الكتاب المقدَّس، قد تُشير «الرِّيَاسَاتُ وَالسَّلاَطِينُ» إلى الحكومات البشريَّة. ولكنْ حين نقرأ أنَّ المسيح على الصليب «جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ وَأَشْهَرَهُمْ جِهَاراً» (أخزاهم علناً) وانتصر عليهم، ينبغي أن نُفكِّر في القوى الشيطانيَّة التي تُعَنِّي وتُعذِّب العالم. ومن أوضح التَّصريحات عن هذه القوَّات الشِّرِّيرة ما جاء في أفسس ٦: ١٢. فهذه الآية تقول إنَّ «مُصارعتنا»، نحن المؤمنين بالمسيح، «لَيْسَتْ مَعَ دَم وَلَحْم، بَلْ مَعَ **الرُّؤَسَاءِ**، مَعَ **السَّلاَطِينِ**، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ».

ثلاثَ مرَّات يُدعى الشَّيطان «رئيس هذا العالَم». ففيما كان المسيح يقترب من ساعته الأخيرة على هذه الأرض، قال: «اَلآنَ دَيْنُونَةُ هذَا الْعَالَمِ. اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هذَا الْعَالَمِ خَارِجاً» (يوحنا ١٢: ٣١). فإنَّ موت المسيح شكَّل الهزيمة الحاسمة لإبليس، «رَئِيسِ هـذَا الْـعَـالَمِ». وكما يمضي الشيطان، هكذا يمضي أيضاً جميعُ ملائكته الساقطين. فإنَّهم أجمعين تلقَّوا ضربةَ هزيمةٍ حاسمةً لمَّا مات المسيح.

لا يعني هذا أنَّهم أُزيلوا من الوجود. فنحن نتصارع معهم الآن أيضاً. غير أنَّهم عدوٌّ مهزوم. ونحن نعلم أنَّ لنا النَّصر النهائيَّ. كأنَّما تِنِّينٌ هائلٌ قُطِعَ رأسُه وهو يتقلَّب ويتخبَّط إلى أن ينزف حتَّى الموت. فالمعركة مكسوبة. ولكنْ ما يزال علينا أن نتنبَّه إلى الضَّرر الذي يمكن أن يُحدِثه.

في موت المسيح، تَولَّى الله أن يمحوَ «الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدّاً لَنَا» فهذا «رَفَعَهُ اللهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّراً إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ» (كولوسي ٢: ١٤؛ راجع الفصل ٧). وبهذه الطريقة نزع سلاح «الرئاسات والسلاطين» و«أخزاهم علناً.» بعبارة أُخرى: ما دام ناموسُ الله لا يَدينُنا بَعد، لأنَّ المسيح ألغى دينَنا، فليس لدى الشيطان أيُّ أساسٍ شرعيٍّ للاشتكاء علينا.

لقد كان الاشتكاء على شعب الله هو عملَ إبليس العظيمَ قبل مجيء المسيح. ومعنى الكلمة **شيطان** ذاتها «خَصمٌ أو مُشتَك». إنَّما أصغ إلى ما حدث لمَّا مات المسيح. وهذه هي كلمات يوحنا الرسول: «سَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً قَائِلاً فِي السَّمَاءِ:«الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ **الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا!**» (رؤيا ١٢: ١٠). فهذه هي هزيمةُ الرئاسات والسُّلطات الشِّريرة وتجريدُها من سلاحها.

والآن، في المسيح لا يمكن أن تقوم أيَّةُ شكوى على شعب الله. «مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اَللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ» (رومية ٨: ٣٣). فلا أيُّ إنسان ولا الشيطان يستطيع أن يسوقَ تُهمةً تثبت. إنَّ الدَّعوى القضائيَّة مُقفَلة. فالمسيح برَّرنا. والمشتكي علينا مُجرَّد من سلاحه. وإذا حاول أن يتكلَّم في محكمة السَّماء، فسوف يُغشِّي الخِزيُ وجهه. حقّاً، كم ينبغي أن نكون شُجعاناً وأحراراً في هذا العالَم إذ نسعى لأنْ نخدم المسيح ونحبَّ الناس! فلا شيءَ من الدَّينونة على الذين في المسيح. إذاً، لنُحوِّلْ وجوهَنا عن تجارِب إبليس. فوعودُه أكاذيب، وقُدرتُه مُجرَّدة من سلاحها.

٤٣

ليُطلقَ العِنان لقوَّة اللّه في الإنـجيل

فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ،
وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ.

١كورنثوس ١: ١٨

لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لأَنَّهُ
قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ
لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ.

رومية ١: ١٦

الإنجيل يعني البشارة، الخَبَر السارَّ. فهو خَبَرٌ قبل أن يكون نظاماً لاهوتيّاً. والخَبَر هو البَلاغ بأنَّ أمراً عظيم الشأن قد حصل. أمَّا الخَبر **السَّارُّ** فهو الإعلان بأنَّ أمراً قد حصل سوف يُسِرُّ الناس ويُسعِدهم. فالإنجيل هو أفضل خَبَر، لأنَّ ما يُخبِّر به يستطيع أن يُسعِدَ الناس إلى الأبد.

أُعَرِّفُكُمْ... بِالإِنْجِيلِ... أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ [المقدَّسة]، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ [حيّاً] فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ... وَأَنَّهُ... ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ» (١كورنثوس ١٥: ١- ٧).

فإنَّ لُبَّ الإنجيل هو أنَّ «الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا... وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ... وَأَنَّهُ ظَهَرَ... لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ». وحقيقةُ كونه يقول إنَّ كثيرين جدّاً من هؤلاء الشُّهود ما زالوا أحياءً (في القرن الأوَّل ب م) تُبيِّن كم الإنجيلُ حقيقيٌّ وواقعيٌّ. فقد قصد أنَّه كان في وسع قُرَّائه أن يجدوا بعضاً منهم ويسألوهم. إذ إنَّ الإنجيل بِشارةٌ بحقائق واقعيَّة. وكان ممكناً أن تُفحصَ تلك الحقائق. فقد وُجِدَ شهودُ عِيانٍ لموت المسيح ودفنه وقيامته.

إنَّما الأمرُ المأساويُّ هو أنَّ هذه البشارة تبدو في نظر الكثيرين غباوة. فقد قال الرسول بولس: «إِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ» (١كورنثوس ١: ١٨). وهذه هي القوَّة التي مات المسيح ليُطلِقَ عِنانها. فالإنجيل هو «قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ» (رمية ١: ١٦).

لماذا لا يرى كثيرون موت المسيح بشارةً؟ يجب أن نراه أنَّه حقٌّ وسارٌّ قبل أن نُصدِّقه. وهكذا، فالسؤال هو: لماذا يراه بعضٌ حقّاً وسارّاً، فيما لا يراه آخرون كذلك؟ يُعطَى جوابٌ واحد في ٢كورنثوس ٤: ٤ «إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ.» أضِف إلى ذلك أنَّ الطبيعة البشريَّة الخاطئة

نفسَها ميِّتة بالنسبة إلى الحقيقة الروحيَّة الصادقة. إنَّ «الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ» (١كورنثوس ٢: ١٤).

فإذا كان لأحد أن يرى الإنجيل حقّاً وسارّاً، يجب أن تتغلَّب قوَّة الله على الإعماء الشيطانيِّ وحالة الموت الطبيعيَّة. لهذا السبب يقول الكتاب المقدَّس إنَّه حتَّى لو كان الإنجيل جهالةً بالنِّسبة إلى كثيرين فإنَّ المسيح «للمدعوِّين» هو «قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ» (١كورنثوس ١: ٢٤). وهذه **الدَّعوة** هي فِعلُ رحمةٍ من الله لإزالة حالة الموت الطبيعيَّة والإعماء الشيطانيِّ، حتى نرى المسيح بصفته الحقَّ والبرَّ السَّارَّ. وفِعلُ الرَّحمة هذا هو نفسُه عطيَّةٌ من المسيح مُشتراةٌ بالدَّم. فانظُر إلى المسيح، وصلِّ طالباً أن يُقدِّرك الله على رؤية إنجيل المسيح وقبوله.

٤٤

ليُبطِل العداوة بين الأجناس

نَقَضَ حَائطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ أَيِ الْعَدَاوَةَ،
مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ،
لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً،
صَانِعاً سَلاَماً، وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ
مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ.

أفسس ٢: ١٤- ١٦

إنَّ الارتياب والتحيُّز ومواقِف الحَطِّ من القيمة والكرامة بين اليهود والأُمم (غير اليهود) في أزمنة العهد الجديد كانت خَطِرة، شأنُها شأنُ العداوات العرقيَّة والقوميَّة في أيَّامنا. ومن الأمثلة على العداوة ما جرى في أنطاكية بين بطرس وبولس. وها هو بولس يحكي خَبَر ذلك: «لمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُواجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُوماً.

لأَنَّهُ قَبْلَمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الأُمَمِ، وَلكِنْ لَمَّا أَتَوْا كَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ نَفْسَهُ، خَائِفاً مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْخِتَانِ» (غلاطية ٢: ١١ و١٢).

كان بطرس عائشاً في حرِّيَّة يسوع المسيح. فمع أنَّه مسيحيٌّ يهوديُّ الأصل، كان يأكل مع مسيحيِّين من الأُمم. لقد هُدِمَ حائط السِّياج الفاصل، ودُحِرَت العداوة. وهذا هو ما مات المسيح كي يُنجِزَه. ولكنْ بعد ذلك جاء بعض اليهود المتشدِّدين إلى أنطاكية. فذُعِرَ بطرس. لقد خَشِيَ انتقاداتهم. وهكذا تراجعَ عن مُخالَطةِ غير اليهود.

ورأى بولس ذلك جارياً. فماذا عساه يفعل؟ أيخدم الأمر الواقع؟ أيُحافِظ على السَّلام بين المحافِظين الزائرين والمسيحيِّين اليهوديِّي الأصل والأكثر تحرُّراً في أنطاكية؟ إنَّ مِفتاحَ تصرُّف بولس نجده في هذه الكلمات: «رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ» (غلاطية ٢: ١٤). فهذه عبارةٌ ذاتُ أهمِّيَّة حاسمة. فالتَّمييز العِرقيُّ والعُنصريُّ بات قضيَّةً تمسُّ الإنجيل! إذ إنَّ خوف بطرس وانكفاءه عن مُخالَطة الآخرين عبْرَ الحدود العِرقيَّة لم يكونا «حسب حقِّ الإنجيل». فإنَّ المسيح قد مات لكي يهدم هذا الجِدارَ الفاصل. فكان بطرس يحاول أن يبنيَه من جديد.

ومن ثَمَّ لم يخدم بولس الواقع القائم، ولم يُحافِظ على سلام ينكر الإنجيل. فواجه بطرسَ علناً. «قُلْتُ لِبُطْرُسَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ: «إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ تَعِيشُ أُمَمِيّاً لاَ يَهُودِيّاً، فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا؟» [أي يعيشوا عيشةَ اليهود]» (غلاطية ٢: ١٤). وبعبارة أُخرى، فإنَّ تراجُعَ بطرس عن الشَّركة مع المؤمنين بالمسيح من غير اليهود بلَّغَ رسالةً قتَّالة: عليكم أن تصيروا مثل اليهود لتُقبَلوا قبولاً تامّاً. إنَّما كان هذا هو الأمرَ عينَه الذي مات المسيح لإبطاله.

لقد مات المسيح ليُوجِدَ طريقةً جديدة كلِّيّاً بها تتصالح أجناسُ الناس. فالطُّقوس والأجنَاس ليست أساسَ المعيَّة البهيجة. ولكنَّ المسيح هو هذا الأساس. فهو قد أكمل الشَّريعة الإلهيَّة إلى التمام. وكلُّ ما كان فيها من نَواحٍ فصلَت بعضَ الناس عن بعض انتهَت كلُّها ما عدا واحدةً، ألا وهي إنجيل يسوع المسيح. فمن المستحيل أن ننشئ بين الأجناس وحدةً دائمة بالقول إنَّ جميع الأديان يمكن أن تتوحَّد باعتبارها صحيحةً على السواء. فإنَّ يسوع المسيح هو ابنُ الله الحبيب. وقد أرسله الله إلى العالَم سبيلاً واحداً وحيداً لخلاص الخُطاة ومصالحة الأجناس إلى الأبد. فإن أنكرْنا هذا، نهدم الأساس المتين للرَّجاء الأبديِّ والوحدة الدائمة بين الشُّعوب. إذ بموته على الصليب أُنجِز أمرٌ كونيٌّ، لا محدودُ النِّطاق. فإنَّ الله والإنسان تصالحا. وعندما تُدرِكُ الأجناس هذا وتتمتَّع به، عندئذٍ فقط سيُحبُّون بعضُهم بعضاً ويتمتَّعون بعضُهم ببعض إلى الأبد. فالمسيح، بدَحرِه العداوةَ بيننا وبين الله، يدحَرُها بين الأجناس.

٤٥

ليفتديَ جماعةً من كلِّ قبيلة ولُغَة وشعب وأُمَّة

مُسْتَحقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ
وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا
للهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ
وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ.

رؤيا ٥: ٩

المشهد هو في السماء، حيثُ كان الرَّسول يوحنا قد أُعطيَ لمحةً عن المستقبل بيد الله. «رَأَيْتُ عَلَى يَمِينِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ سِفْراً مَكْتُوباً مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ وَرَاءٍ، مَخْتُوماً بِسَبْعَةِ خُتُومٍ» (رؤيا ٥: ١). ويُشير فَتحُ السِّفر (الدَّرْج الملفوف والمختوم) إلى كشف تاريخ العالم في المستقبل. فاسترسل يوحنَّا في البُكاء إذ بدا أنَّه لم يتقدَّم أحدٌ لفَتح

الدَّرْج. ثُمَّ قال واحدٌ من الكائنات السَّماويَّة: «لاَ تَبْكِ. هُوَذَا قَدْ غَلَبَ الأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ، لِيَفْتَحَ السِّفْرَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ السَّبْعَةَ.» (٥: ٥). وهذه إشارة إلى يسوع المسيح، المخلِّص الذي كان منتظراً ثُمَّ جاء. فهو قد غلب بموته وقيامته. وما لبثَ يوحنا أن رآه: «وَرَأَيْتُ فَإِذَا... خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ» (٥: ٦).

ثُمَّ خرَّت الكائنات السماويَّة التي حول العرش سجوداً للمسيح. وشرعوا يُرنِّمون ترنيمة جديدة. والمذهل أنَّ الترنيمة تُعلن أنَّ موت المسيح هو ما جعله مُستحِّقاً أن يفتح درْج التاريخ. فالمعنى الضِّمنيُّ هو أنَّ موت المسيح كان ضَروريّاً لإتمام مقاصد الله الكونيَّة في التاريخ. «وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ:«مُسْتَحِق أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَالله بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ» (٥: ٩).

لقد مات المسيح ليُخلِّص جماعةً عظيمة من مختلف الشعوب. فإنَّ الخطيَّة لا تُراعي الحضارات. وجميع الشعوب قد أخطأوا. فأهلُ كلِّ جنسٍ وحضارة يحتاجون أن يتصالحوا مع الله. وكما أنَّ مرض الخطيَّة كَونيٌّ، فالعِلاجُ أيضاً كونيّ. وقد رأى المسيح أوجاعَ الموت الرهيبةَ مُقبلةً، وتكلَّم بجُرأةٍ عن مدى مقصدِه: «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ [على الصليب] أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يوحنا١٢: ٣٢). فإذ خطَّط لموته، شمل العالَم أجمع.

انطلقت المسيحيَّة في الشَّرق. وعلى مرِّ القُرون، حصلَت نقلة كُبرى إلى الغرب. ولكنْ على نحوٍ مُتزايدٍ الآن، ليست المسيحيَّة ديانة غربيَّة. فهذا غير مفاجئ للمسيح. إذ سبق العهدُ القديم فأنبأ بتأثيره الكونيّ: «تَذْكُرُ وَتَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ كُلُّ أَقَاصِي الأَرْضِ. وَتَسْجُدُ قُدَّامَكَ كُلُّ قَبَائِلِ الأُمَمِ» (المزمور ٢٢: ٢٧). «تَفْرَحُ وَتَبْتَهِجُ الأُمَمُ» (المزمور ٦٧: ٤). وهكذا، لمَّا قاربَ المسيح نهاية خدمته على الأرض، أوضح مَهمَّته بجلاء: «كَانَ

يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا **لِجَمِيعِ الأُمَمِ**» (لوقا ٢٤: ٤٦ و٤٧). كما انَّ أمره لتلاميذه كان واضحاً تماماً: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا **جَمِيعَ الأُمَمِ**» (متَّى ٢٨: ١٩). [الكرازة هي التبشير، والتَّلمذة هي تعليم قابلي الكرازة لجعلهم تلاميذ للمسيح].

ليس المسيح إلهاً قَبَليّاً. إنَّه لا يخصُّ حضارةً واحدة، ولا جماعةً عرقيَّة واحدة. إنَّه «حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يوحنا ١: ٢٩). «لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ [أو أيَّة جماعة أُخرى]؛ لأَنَّ رَبّاً وَاحِداً لِلْجَمِيعِ، غَنِيّاً لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ. لأَنَّ «كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ». (رومية ١٠: ١٢ و١٣). فادعُ إليه الآن، وانضمَّ إلى جماعة المفديِّين الكونيَّة العظيمة.

٤٦

ليجمَع جميعَ خرافه من أنحاءِ العالَم كلِّه

وَلَمْ يَقُلْ [قَيافا] هذَا مِنْ نَفْسه،
بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَة،
تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّة،
وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ
الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِد.
يوحنا ١١: ٥١ و٥٢

وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هذِهِ الْحَظِيرَة،
يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي،
وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ.
يوحنا ١٠: ١٦

حدث مرَّةً أنَّ أتاناً نطقَت برسالة من عند الله (عدد ٢٢: ٢٨)، على غير علمٍ منها. وربَّما حصل ذلك لواعظٍ أو رجُلِ دين. وقد حصل لقَيافا الذي كان رئيسَ كهنة عند اليهود، في أثناء التَّشاوُر بشأن حياة المسيح. ذلك أنَّ قَيافا، على غير علم منه، قال لقادة الأُمَّة: «خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا» (يوحنا ١١: ٥٠). وقد كان لهذا القول مَعنيان. فإنَّ قَيافا عَنَى هذا: أن يموت المسيح أفضلُ من أن يتَّهم الرُّومان الأُمَّة بالخيانة ويُهلِكوا الشَّعب كلَّه. إنَّما لدى الله معنًى آخر. وهكذا يقول الكتاب المقدَّس:»وَلَمْ يَقُلْ [قَيافا] هذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ،

تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ، وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ»(يوحنا ١١: ٥١ و٥٢).

وقد قال المسيح نفسُه ذلك عينَه، إنَّما بصُورة مجازيَّة مُختلفة. فبدلاً من التكلُّم عن **أبناء متفرِّقين**، تكلَّم عن **خراف** خارج الحظيرة اليهوديَّة: «وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ» (يوحنا ١٠: ١٦).

وكِلتا هاتين الطريقتين في التعبير عن الحقيقة مُذهلتان. فهما تُعلِّمان أنَّ في جميع أنحاء العالم أُناساً اختارهم الله ليُبلِّغوا البشارة ويخلصوا بواسطة المسيح. فإنَّ هنالك «أبناء الله المتفرِّقين». وهنالك «خِرافٌ أُخَر ليست من هذه الحظيرة [اليهوديَّة]». وهذا يعني أن الله مُبادِرٌ بقوَّة إلى جمع شعب لابنه. إنَّه يدعو شعبه ليذهبوا ويُتلمِذوا، ولكنَّه أيضاً يذهب أمامهم. فإنَّ له أُناساً مُختارين قبلَ وصول مُرسَليه إلى هناك. وهكذا يتكلَّم المسيح عن مُهتدين جعلهم الله خاصَّةً له ثُمَّ أتى بهم إلى المسيح. «كُلُّ مَا

يُعْطِينِي الآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ، وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجاً...كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي» (يوحنا ٦: ٣٧؛ ١٧: ٦).

إنَّه لأمرٌ يُوقِع في النفس رهبةً أنَّ الله ينظر من عَلُ إلى جميع شعوب العالَم ويُسمِّي رعيَّةً لنفسه، ثُمَّ يُرسِل مبعوثين باسم المسيح، ثُمَّ يَهدي مُختاريه إلى صوت الإنجيل، ثُمَّ يُخلِّصهم. ولا يمكن أن يخلُصوا بأيَّة طريقة أخرى. فالعمل الرِّساليُّ مهمٌّ جدّاً. «الْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيَدْعُو خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا... وَالْخِرَافُ تَتْبَعُهُ، لأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ» (يوحنا ١٠: ٣ و٤). لقد تألَّم المسيح ومات حتَّى تسمع الخِراف صوته وتحيا. ذلك هو ما قاله قَيافا دونَ أن يدري: «أنَّ يسوع مُزمِعٌ أن يموت... ليس عن الأُمَّة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرِّقين إلى واحد». إنَّه بذل حياته كي يجمع الخراف. فبدمه اشترى الرَّحمة التي تجعل صوته جليّاً لخاصَّته. فصلِّ طالباً أن يُبديَ لك الله تلك الرَّحمة، لتسمعَ وتحيا.

٤٧

لِيُنجِّينا من الدَّينونة الأخيرة

الْمَسِيحُ... بَعْدَمَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ،
سَيَظْهَرُ ثَانِيَةً بِلاَ خَطِيَّةٍ
لِلْخَلاَصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ.

عبرانيين ٩: ٢٨

إنَّ فكرة الخلاص المسيحيَّة تتعلَّق بالماضي والحاضر والمستقبل. فالكتاب المقدَّس يقول: «لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ **مُخَلَّصُونَ** [قد خلصتم]، بِالإِيمَانِ» (أفسس ٢: ٨). ويقول إنَّ الإنجيل هو قوَّة الله «عِنْدَنَا نَحْنُ **الْمُخَلَّصِينَ** [الذين **نُخلَّص**]» (١كورنثوس ١: ١٨). ويقول إنَّ «**خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ** مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا» (رومية ١٣: ١١). فنحن خُلِّصنا، ونخلَّص، وسوف نُخلَّص.

وفي كلِّ مرحلة، نحن مُخلَّصون بموت المسيح. ففي الماضي، مرَّةً وإلى الأبد، دفع المسيح بنفسه أُجرة خطايانا. وتبرَّرنا بالإيمان وحده. وفي الحاضر، يضمن موتُ المسيح قوَّة روح الله لتخليصنا تدريجيّاً من سيادة الخطيَّة وتدنيسها. وفي المستقبل، سيكون دم المسيح المسفوكُ على الصليب هو ما يحمينا من غضب الله ويُوصِلُنا إلى الكمال والفرح.

هنالك دينونة حقيقيَّة آتية. ففي الكتاب المقدَّس يوصَف «قُبُولُ دَيْنُونَةٍ مُخِيفٌ، وَغَيْرَةُ نَارٍ عَتِيدَةٍ أَنْ تَأْكُلَ الْمُضَادِّينَ» (عبرانيين ١٠: ٢٧). ويدعونا الكتاب لأن نعيش «بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى، لأَنَّ «إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ».» (عبرانيين ١٢: ٢٨ و٢٩). وقد نبَّه يوحنا المعمدان أهلَ زمانه إلى وجوب التَّفادي «مِنَ الْغَضَبِ الآتِي» (متَّى ٣: ٧). فإنَّ المسيح نفسه سوف يُستعلَن «مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ، فِي نَارٍ لَهِيبٍ، مُعْطِياً نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ، وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ» (٢تسالونيكي ١: ٧- ٩).

إنَّ بعض صُوَر غضب الله الأخير هذا هي تقريباً أرهَبُ من أن نتأمَّل فيها. وممَّا يدعو إلى العَجَب أنَّ يوحنا، «رسول المحبَّة»، هو مَن يُعطينا عن الجحيم اللَّمحات الأكثرَ نَبْضاً ودِقَّةً. فإنَّ كلَّ من يرفض المسيح ويُقدِّم ولاءَه لآخَر «سَيَشْرَبُ مِنْ خَمْرِ غَضَبِ اللهِ، الْمَصْبُوبِ صِرْفاً فِي كَأْسِ غَضَبِهِ، وَيُعَذَّبُ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ أَمَامَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ وَأَمَامَ الْخَرُوفِ. وَيَصْعَدُ دُخَانُ عَذَابِهِمْ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. وَلاَ تَكُونُ رَاحَةٌ نَهَاراً وَلَيْلاً» (رؤيا ١٤: ١٠ و١١).

وما لم نشعر بشيءٍ من الرُّعب حيال غضب الله المستقبليِّ، فإنَّنا على وجه الاحتمال لن نُدرِكَ العذوبة التي بها تذوَّقت كنيسةُ القرن الأوَّل عملَ المسيح الخلاصيَّ في المستقبل: «[ننْتَظِر] ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي يُنْقِذُنَا

مِنَ الْغَضَبِ الآتِي» (١تسالونيكي ١: ١٠). إنَّ يسوع المسيح، وحدَه دون سواه، يستطيع أن يُخلِّصنا من الغضب الآتي. فلولاه، لكان الغضب اكتسحَنا إلى الأبد.

ولكنْ عندما يُخلِّصنا في النهاية، سيكون ذلك على أساس دمه. «الْمَسِيحُ... بَعْدَمَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ، سَيَظْهَرُ ثَانِيَةً - بِلاَ خَطِيَّةٍ [يُعالِجُها] - لِلْخَلاَصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ» (عبرانيين ٩: ٢٨). لقد عُولجَت الخطيَّة مرَّةً وإلى الأبد. فلا حاجة لذبيحة تعويضيَّة جديدة. وحمايتُنا من الغضب المستقبليِّ يقينيَّةٌ كآلام المسيح وموته نيابةً عنَّا. فمن أجل الصليب إذاً، لنتهلَّلْ بالنِّعمة المستقبليَّة!

٤٨

ليَكسِبَ فرَحَه وفرَحَنا

مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ،
احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالخِزْيِ،
فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ.

عبرانيين ١٢: ٢

السَّبيل المؤدِّي إلى الفرح طريقٌ شاقٌّ. إنَّه شاقٌّ علينا، كما أنَّه كان شاقّاً على المسيح. لقد كلَّف المسيح حياته. ويمكن أن يُكلِّفنا حياتنا. «مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ». فأوَّلاً أوجاع الصليب، ثُمَّ بهجة السماء. ولم يكُن من طريقة أُخرى.

وقد كان للسُّرور الموضوع أمامه عدَّة مُستويات. إذ كان سُرورَ اجتماع الشَّمْل مع الآب: «أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ» (المزمور ١٦: ١١). وكان سُرورَ الانتصار على الخطيَّة: «بَعْدَمَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي» (عبرانيين ١: ٣). وكان سرور استرداد الحقوق الإلهيَّة: «يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ»... فما بالُكَ بالملايين (لوقا ١٥: ٧)!

والآن، ماذا نقول عن حالنا؟ هل دخل الفرَح وتركَنا للبؤس؟ كلاَّ! فقبلَ موته، أقام ترابُطاً بين فرَحه وفرَحنا. إذ قال: «كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ» (يوحنا ١٥: ١١). لقد علِمَ ماذا سيكون فرَحه، وقال: «فَرَحِي فِيكُمْ». فنحن الذين توكَّلنا عليه واثقين سوف نبتهج بما يسَعُنا – نحن المخلوقاتِ المحدودةَ – أن نختبره من فرَح المسيح.

ولكنَّ الطريق سيكون شاقّاً. فقد أنذرنا المسيح إذ قال: «فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ» (يوحنا ١٦: ٣٣). «لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ... إِنْ كَانُوا قَدْ لَقَّبُوا رَبَّ الْبَيْتِ بَعْلَزَبُولَ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَهْلَ بَيْتِهِ!» (متَّى ١٠: ٢٤ و٢٥). [«بَعْلَزَبُول» اسمٌ رمزيٌّ للشَّيطان معناه سيِّدُ السُّكنى أو سيِّدُ الذُّباب.] «وَيَقْتُلُونَ مِنْكُمْ. وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي» (لوقا ٢١: ١٦ و١٧). ذلك هو الطريق الذي سار فيه المسيح، وذلك هو الطريق إلى الفَرَح: فرَحِه راسخاً فينا، وفرَحنا كاملاً فيه. ومثلما مكَّن رجاءُ الفرَح المسيح من احتمال الصليب، يُقوِّينا رجاءُ فرَحنا على احتمال المعاناة معه. وقد أعدَّنا المسيح لهذا الأمر بعينه لما قال: «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ» (متَّى ٥: ١١ و١٢). فمكافأتُنا ستكون التمتُّع بالله بذلك الفَرَح عينه الذي كان لابن الله بأبيه.

لو لم يمُت المسيح بمحضِ اختياره، لَمَا كان هو ولا نحن ممكناً أن نفرح إلى الأبد. لَمَا كان هو طائعاً، ولكُنَّا هلكنا في خطايانا. غير أنَّ فرَحَه وفرَحَنا كُسِبا في الصليب. ونحن الآن نتبعه على درب المحبَّة. إنَّنا نحسُب «أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا» (رومية ٨: ١٨). فالآن نحن نحمل العار معه. ولكن آنذاك سيكون فرَحٌ كاملٌ غيرُ منقوص. فأيَّةُ مُخاطرة تقتضيها المحبَّة سوف نحتملها. لا بقوَّة بُطوليَّة، بل بقوَّة رجائنا بأنَّه سيكون «فِي الصَّبَاحِ تَرَنُّمٌ»، وإن كان «عِنْدَ الْمَسَاءِ يَبِيتُ الْبُكَاءُ» عندَنا (المزمور ٣٠: ٥).

٤٩

ليُكلَّلَ بالمجد والكرامة

يَسُوع، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْد
وَالْكَرَامَة، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْت.

عبرانيين ٢: ٩

لكنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخذاً صُورَةَ عَبْد،
صَائراً في شبْه النَّاس. وَإِذْ وُجِدَ في الْهَيْئَة كَإِنْسَان،
وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّليب.
لِذلكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْم.

فيلبِّي ٢: ٧- ٩

مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْخَرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ
يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ
وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ!

رؤيا ٥: ١٢

عشيَّةَ موت المسيح، وهو عالمٌ بما سيأتي عليه، صلَّى قائلاً: «مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ» (يوحنا ١٧: ٥). وهكذا حصل: لقد كُلِّل «بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ» (عبرانيين ٢: ٩). فمجدُه هذا كان مكافأة آلامه وموته. إنَّه «أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ...**لِذلِكَ** رَفَّعَهُ اللهُ» (فيلبِّي٢: ٨ و٩). فتحديداً لأنَّ الحَمَل قد ذُبِح، هو مُستحقٌّ «أَنْ يَأْخُذَ...الْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ» (رؤيا ٥: ١٢). وهكذا، فإنَّ آلام المسيح لم تسبق الإكليل فقط، بل كانت الثمن، وكان الإكليل هو الجائزة. لقد مات لكي يُعطى الإكليل.

كثيرون يعثرون عند هذا الحدّ. إنَّهم يقولون: «كيف يمكن أن يكون هذا مُحِبّاً؟ كيف يمكن أن يُحفَز المسيح لإعطائنا الفرح إذا كان محفوزاً لنوال مجده؟ منذ متى كان الانشغال بالذات فضيلة؟» هذا سؤال جيِّد، وله جواب رائع من الكتاب المقدَّس. يكمن الجواب في تعلُّم ماهيَّة المحبَّة العظيمة حقّاً. لقد تربَّى مُعظمُنا مُعتقدين أنَّ كون المرء محبوباً يعني أن يُعظَّم. ويبدو أنَّ عالمنا كلَّه مبنيٌّ على هذا الافتراض. فإن كنتُ أُحِبُّك، أُعظِّمُك؛ أُساعِدُك كي تشعر بحُسن الحال نسبةً إلى نفسك. وكأنَّما رؤية النفس هي سرُّ الفرح.

غير أنَّنا نعلم ما هو أفضل. حتَّى قبلَ رجوعنا إلى الكتاب المقدَّس، نعلم أنَّ الحال ليست على هذا المِنوال. فأسعد أوقاتِنا لم تكُن أوقات إشباع الذات، بل أوقات إنكار

الذات. إذ مرَّت بنا أوقاتٌ فيها وقفنا بجانب جبل خلاَّب، أو عند سفح جبل عالٍ، أو شاهدنا غُروباً ساحراً عند الشاطئ، وعلى مدى لحظةٍ عابرة شعرنا بفَرح العَجَب الخالص. إنَّنا لهذا صُنِعنا. فإنَّ الفِردَوس لن يكون قاعةَ مرايا، بل سيكون معرِضَ جَلال. ولن يكون ذلك عائداً لنا. إذا كان هذا صحيحاً، وإذا كان المسيح هو الحقيقةَ الأكثر جلالاً في الكَون كلِّه، فماذا ستكون محبَّتُه لنا؟ يقيناً، ليس أعظم كثيراً جدّاً. فإذا كان لنا أن نكون سُعدَاء بقدْر إمكاننا، يجب أن نرى ونتمتَّع بالشخص الأسمى مجداً على الإطلاق، ألا وهو يسوع المسيح نفسُه. وهذا يعني أنَّ المسيح، إثباتاً لمحبَّته لنا، لا بُدَّ أن يطلب ملءَ مجده ويُقدِّمه لنا لكي نتمتَّع به. لهذا السبب صلَّى، عشيَّةَ موته، قائلاً: «أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي» (يوحنا ١٧: ٢٤). تلك كانت المحبَّة. «سأُريهم مجدي». فلمَّا مات المسيح ليستردَّ ملءَ مجده، ماتَ لأجل فرَحِنا. وما المحبَّة – مهما كان الثَّمن – إلاَّ الجهدُ الهادف إلى مساعدة الناس على أن يُفتَنوا بما سيُشبِعُهم أكثرَ الكُلِّ، ألا وهو الربُّ يسوع المسيح. على هذا النَّحو أحبَّ المسيح!

٥٠

لِيُبيِّنَ أنَّ الشَّرَّ الأسوأ قد قصد اللّه به الخير

بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُّوسِ
يَسُوعَ، الَّذِي مَسَحْتَهُ، هِيرُودُسُ وَبِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ
مَعَ أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ، لِيَفْعَلُوا كُلَّ
مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ.

أعمال ٤: ٢٧ و٢٨

إنَّ أعمق شيء يمكن أن نقوله عن التألُّم والشَّرِّ هو أنَّ الله، بيسوع المسيح، تدخَّل فيهما وحوَّلَهما إلى الخير. إنَّما أصلُ الشَّرِّ يكتنفه الغموض. فالكتاب المقدَّس لا يرجع بنا بعيداً إلى حيثُ قد نرغب في الرجوع. ولكنَّه بالأحرى يقول: «السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا» (تثنية ٢٩: ٢٩).

ليس لُبُّ الكتاب المقدَّس تفسير مصدر الشَّرِّ، بل هو بُرهان يُبيِّن كيف يتدخَّل الله فيه ويُحوِّله إلى عكسه تماماً: البِرِّ والفرح الأبديَّين. فقد تضمَّنت أسفار الكتاب على طول الطريق مؤشِّرات إلى أنَّ حال المسيح ستكون على هذا المنوال. من ذلك أنَّ يوسف، ابنَ يعقوب، بِيعَ عبداً في مصر. وبدا مَتروكاً طيلَة سبع عشرة سنة. إلاَّ أن يد الله كانت في الأمر، حتَّى جعله الله حاكماً في مصر، ليتسنَّى له في أثناء مجاعة شديدة أن يُخلِّص الأشخاص الذين باعوه أنفسَهم. والقصَّة مُلخَّصة في كلمة قالها يوسف لإخوته: «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرّاً، أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْراً» (تكوين ٥٠: ٢٠). وهذه صورة سَبقيَّة ليسوع المسيح إذ تُرِك لكي يُخلِّص.

أو لنتأمَّل في أسلاف المسيح. فقد كان الله حيناً هو المَلِكَ الوحيد في الأُمَّة. غير أنَّ الشَّعب تمرَّدوا وطلبوا مَلِكاً بشريّاً: «لاَ بَلْ يَكُونُ عَلَيْنَا مَلِكٌ» (١صموئيل ٨: ١٩). وفي ما بعدُ اعترفوا قائلين: «قَدْ أَضَفْنَا إِلَى جَمِيعِ خَطَايَانَا شَرّاً بِطَلَبِنَا لأَنْفُسِنَا مَلِكاً» (١صموئيل ١٢: ١٩). ولكنَّ يَد الله كانت في الأمر. فمن سُلالة هؤلاء الملوك أتى بالمسيح إلى العالم. وكان الأصلُ الأرضيُّ للمخلِّص البريء من الخطيَّة مرتبطاً بالخطيَّة، إذ جاء لكي يُخلِّص الخُطاة.

غير أنَّ الأمر الأكثر إدهاشاً هو أنَّ الشَّرَّ والألَم كانا الطريق المعيَّن للمسيح في سبيل الانتصار على الشَّرِّ والألم. فكلُّ فعلِ غدْر ووحشيَّة ضدَّ المسيح كان أثيماً وشرِّيراً. ولكنَّ يد الله كانت في الأمر. إذ يقول الكتاب المقدَّس إنَّ المسيح سُلِّم للموت «بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ» (أعمال ٢: ٢٣). فإنَّ الجَلْدَ على ظهره، والشَّوك على رأسه، والبَصق على وجهه، والمسامير في يدَيه ورجلَيه، والحربة في جنبه، وهزءَ الحُكَّام، وخِيانةَ أصدقائه، وهجْرَ تلاميذه له: هذه كلُّها كانت نتيجة الخطيَّة، وقد قضى الله بها كلِّها لكسْر شوكة الخطيَّة. «اجتمع على... يسوع... هِيرُودُسُ وَبِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَ

أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ، لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ» (أعمال ٤: ٢٧ و٢٨).

ما من خطيَّة أعظم من بُغضِ ابن الله وقتله. ولم يكُن قطُّ تألُّمٌ أعظم ولا براءة أعظم من تألُّم المسيح وبراءته. غير أنَّ يد الله كانت في ذلك كلِّه. «أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ» (إشعياء ٥٣: ١٠). وكان هدفه، من خلال الشَّرِّ والألم، أن يُبيدَ الشَّرَّ والألَم. «بِحُبُرِهِ شُفِينَا» (إشعياء ٥٣: ٥). فلهذا جاء المسيح ليموت. لقد قصد الله أن يُبيِّن للعالم أنَّه ما من خطيَّة وما من شرٍّ أعظم من ألاَّ يقوى الله على أن يُطلِع منهُما البرَّ والفرح الأبديَّين. فالتألُّم الذي سبَّبناه نحنُ صار هو رجاءَ خلاصنا. «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا ٢٣: ٣٤).

صـــــلاة

أيُّها الآب السماويُّ، باسْم المسيح أطلب لكُلِّ قارئ أن تؤيِّد ما هو صحيح في هذا الكتاب، وأن تشطُبَ ما قد يكون خاطئاً. وأطلب ألاَّ يعثُر أحدٌ بالمسيح. عسى ألاَّ يشنَّ أحدٌ هجوماً على أُلوهيَّتة، أو على آلامه وموته المنقطِعة النظير. عسى ألاَّ يرفض أحدٌ الأسباب التي من أجلها جاء المسيح ليموت. بالنِّسبة إلى كثيرين، هذه الأمور جديدة. فعسى أن يكونوا صابرين كي ينظروا فيها بانتباه. وعسى أن تهَبَهم الفهم والبصيرة.

أُصلِّي طالباً أن تُرفَع غَمامةُ اللامُبالاة بالأمور الأبديَّة، وأن تُصبِحَ حقيقةُ السَّماء وجهنَّم واضحةً تماماً. أطلُبُ أن تغدوَ مَركزانيَّة المسيح في التاريخ جليَّةً، وأن يُرى موتُه باعتباره أهمَّ حَدَثٍ جرى على الإطلاق. هَبنا أن نتمكَّن من السَّير على طول جُرف الأبديَّة، حيث تحمل الرِّيح صوتَ الحقِّ الناصع الساطع.

وأُصلِّي طالباً ألاَّ يُحرَف انتباهُنا عن أعلَويَّة مقاصدك الإلهيَّة في موت المسيح. لا تسمَحْ بأن يستنفِدَ طاقتَنا السؤالُ الأدنى الذي يُسأل عمَّن قتلوا ابنك الحبيب. فكلُّنا كنَّا مَعنيِّين ومتورِّطين. ولكنْ ليست تلك هي المسألة الرئيسيَّة، بل المسألتان الرئيسيَّتان هُما تصميمُك وتنفيذك. فيا أبانا، افتَح عيوننا لنرى أنَّك أنت، لا أيُّ إنسان، خطَّطتَ لموت المسيح. ومن هذا الموقع المهيب، دعْنا نُشرِف بأنظارنا على كامل المنظر الشامل اللانهائيِّ لمقاصدك المفعمَة بالرَّحمة والرَّجاء.

يا لها من حقيقة مُذهِلة قد أعلنتَها: «أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ» (١تيموثاوس ١: ١٥). وقد فعل ذلك أساساً، لا بتعليمه، بل بموته. حقّاً إنَّ «الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ» (١كورنثوس ١٥: ٣). فهل من رسالة أعجب من هذه إلى أُناس مثلِنا نحن الذين نعلم أنَّنا لا نستطيع أن نرتقي إلى قياس مطالِبِ ضميرنا، فضلاً عن مطالب قداستك السامية؟

فيا أيُّها الآب الرَّحيم، أمَا تمنَحُ جميع الذين يقرأون هذا الكتاب أن يُدركوا حاجتَهم ويرَوا إعدادك الكامل في موت المسيح فيؤمنوا؟ إنَّني أُصلِّي طالباً هذا من أجل وعد ابنك الحبيب إذ قال: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يوحنا ٣: ١٦). باسْم المسيح الكريم أُصلِّي. آمين!